Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

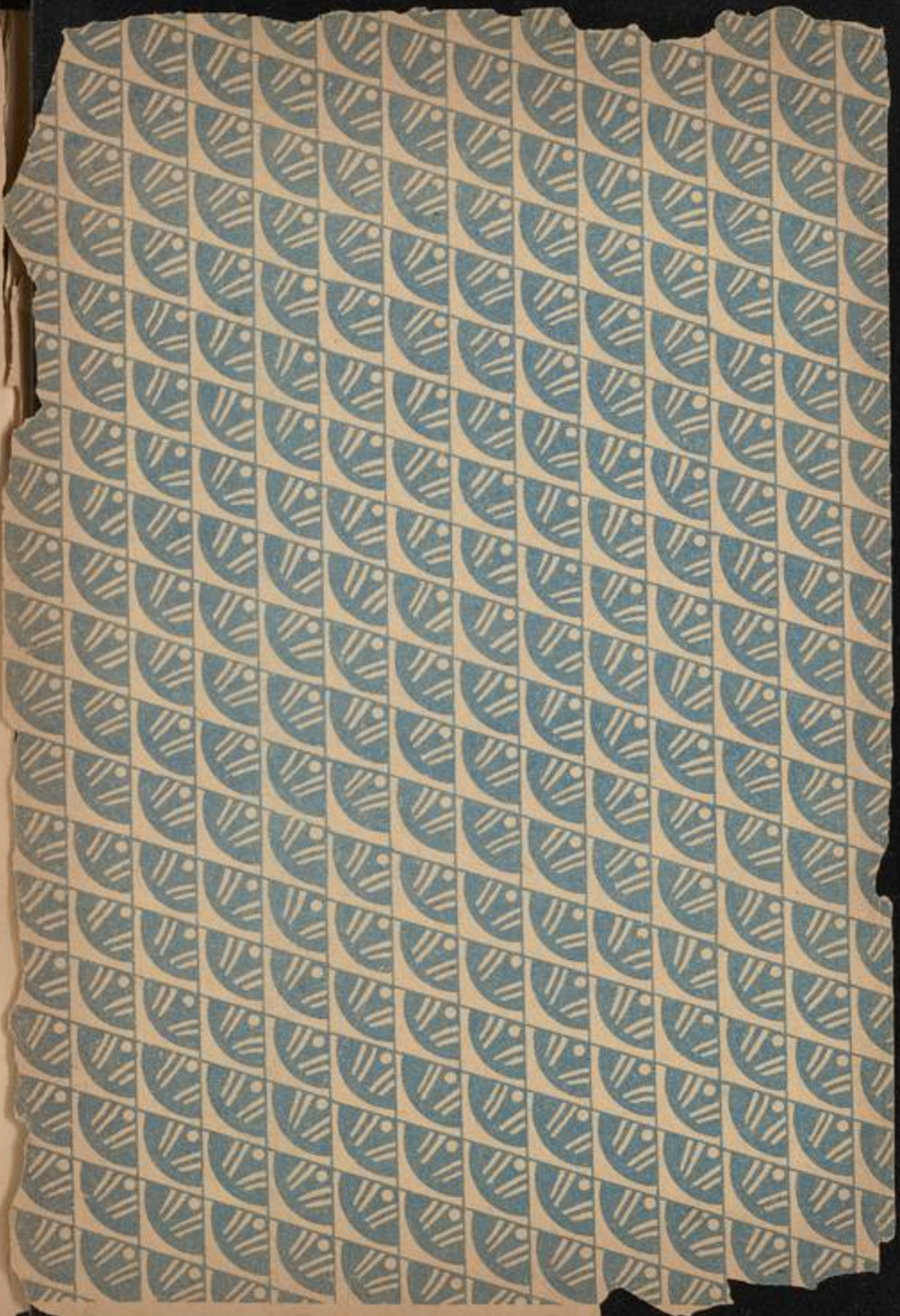

39141

مؤلفات الدكتورة درية شفيق

- المرأة والإسلام — باللغة الفرنسية
- مذهب الفن للفن عند قدماء المصريين — » »
- المرأة الجديدة — » »
- تطور النهضة النسائية فى مصر

مؤلفات الدكتور ابراهيم عبده

- الحياة الثانية ١٩٣٣
- فى المصايف ١٩٣٤
- فى السودان ١٩٣٦
- تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية ١٩٤١
- تاريخ الوقائع المصرية — طبعة بولاق ١٩٤٢
- تاريخ الوقائع المصرية — الطبعة الثانية ١٩٤٢
- تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ١٩٤٤
- أعلام الصحافة العربية ١٩٤٤
- الحياة الثانية — الطبعة الثانية ١٩٤٤
- تطور النهضة النسائية فى مصر ١٩٤٥

تحية وإهـــداء

الى صاحبة السمو الاميرة شيوه كار

أنست إلى قربك ياصاحبة السمو فعرفت أن أبغض الأشياء إلى نفسك أن يتحدث الناس عن فضلك وأن يذاع هذا الفضل ولو همساً على الشفاه ، وعرفت أن قلبك الكبير يأبى عليك الإنصات إلى كلمات الشكر لأنك تعطين من روحك وتدفعين مالك ضريبة أملاها الحس الرقيق والحاشية الدقيقة والعواطف النبيلة ، وهى سمات النفوس العظيمة التى تسمو فعالها عن الشكر وتعلو هباتها عن الزلفى ، فأنت للناس منارة يُعجز نورُها كل شاكر ويخبو إزاءها كل اعتراف بجميل .

ومع أنك تكرهين يا صاحبة السمو أن يتحدث الناس بفضلك فهل تأذنين لنا أن نلتمس عفوك ونرفع لك هذا الكتيب تحية ملؤها الإكبار لشخصك ؟ وقد حاولنا أن نخفى عواطفنا

نحوك لنرضى فى نفسك نزعة التواضع . فإذا هؤلاء الفقراء الذين أغدقت عليهم برك وهؤلاء المرضى الذين مسهم كثير من رحمتك يرون أننا نسيء إليهم إذا أنكرنا فضلك وحبسنا عن الناس أياديك ، وأنهم سيسعدون إذا نفسنا عنهم بذكرك وعرضنا للناس بعض سهمك فى حياتنا المصرية التى امتلأت بحمدك .

ونحن الذين نشاهد هذه المآثر ونحس هذه المفاخر لا نستطيع أن ننكرها فلا نسجلها ، وحسبنا هذه التحية نرفعها إلى سموك وهذا الكتاب نقدمه هدية لشخصك الكريم .

دريني شفيق

تمهيـــد

كانت النساء المصريات منذ نحو نصف قرن يقضين النهار عاطلات عن الحياة الرفيعة والعمل المجدى منزويات فى أماكن الحريم من البيوت وكان بعض الشعاع من السعادة يلمع أحيانا كومض البرق فى حياتهن الرتيبة التى لا جديد فيها ولا تجديد، والوقت يمر وهن سادرات فى جو من التعب والملل والعالم الخارجى زاه مرح تحول الجدران المنيعة دون بروزهن اليه إذ فرض عليهن أن يعشن عيشة مجردة من كل مزية بعيدة عن كل هدف إذ كان أفقهن مظلماً، وكانت مشاغلهن وهى تافهة لا تليق بالمرأة الناهضة وبالمهمة التى يفرض عليها أن تؤديها تخلق فى قلوبهن فراغا كبيراً لا يعرفن كيف يملأنه وسط هذا التبرم والملل ولا عدو للإنسان أكثر تعسفا وأشد تأثيراً فى النفس من الملل.

غير أن أولئك النساء العاطلات القلقات كن إزاء ما يصوره لهن التفكير الطبيعى يشعرن أن هناك حياة أفضل من حياتهن

فيثير ذلك فى نفوسهن أشد الآلام التى تزداد كلما ازداد التفكير فى نفوسهن المهضومة وما ينسجه الخيال حولها من تصورات وهذا من شأنه أن يجعل الحياة عبئا ثقيلا جداً .

وقد ظلت الحال تسير على هذا المنوال حتى منتصف القرن التاسع عشر فلم تكن المرأة من الطبقة العليا إذ ذاك سوى أداة ترف عند الرجال أما من دونها مرتبة من النساء فكانت تحيا فى خمول حياة تافهة ليس وراءها مطمح ولا هدف .

ولكن حالة اضطهاد المرأة على هذا الوجه ووضعها فى المرتبة الثانية — وهى ذلك المخلوق الرقيق المقدر له أن يقوم بواجبه فى الحياة الاجتماعية — لم يكن ممكنا أن تستمر إلى الأبد ، ولذلك لم ينتصف القرن التاسع عشر حتى ظهرت بوادر رغبة المرأة فى التحرر من قيودها إذ أخذت تشعر أن فى وسعها أن تحيا حياة أقرب إلى الكرامة من حياتها القديمة موجهة نظرها إلى عالم أفضل دون أن تلمس هذا العالم أو ترى حدوده ، غير أن هذه الرغبة فى التحرر وهذا النداء الخفى للتوجه إلى حياة النشاط وهذا الاستياء من حالة لا ثبات لها مع مرور الزمن — هذه الثورة النسوية فى بدايتها كانت تتخذ مظهرا من القلق العام فى محيط المرأة .

وقد كان الخديو اسماعيل أول من رأى مدى ما كانت تعانيه المرأة من آلام الجهل فأعد مشروعات مختلفة للنهضة النسوية سيأتى الحديث عنها فى فصل خاص .

وفى أوائل القرن العشرين قام الشيخ محمد عبده من كبار أئمة الدين فى مصر بتفسير القرآن الكريم تفسيرا ينطوى على تيسير اقتباس المبادىء الحرة وقد أصر على وجوب تفهم روح الدين الإسلامى فى أفق أوسع من آفاق دعاته المتباينين موضحا كيف ينبغى أن تعالج هذه المبادىء الدينية حتى إذا ما أدرك المرء معانيها الصحيحة تبين له أن الدين أبعد من أن يكون حجر عثرة فى فى سبيل تطور المرأة وأنه على العكس من ذلك يميل إلى رد حقوقها اليها .

ثم لقيت مشكلة تحرير المرأة من قاسم أمين اهتماما عظيما إذ تناولها بالبحث من الناحية الاجتماعية فارتفع صوته صادقا مخلصا فى الدفاع عن قضية المرأة ، وكان المجتمع قد تطور بعض التطور بوجه عام فأصبح فى الإمكان طرح هذه المشكلة على بساط البحث بدقة وحزم . وقد أراد قاسم أمين أن يعرف المرأة ما لها من حقوق فألف لهذا الغرض كتابين أولهما بعنوان « تحرير المرأة » والثانى سماه « المرأة الجديدة » .

وأثار هذان المؤلفان ضجة كبيرة فى البلاد أدت إلى انتشار آراء الكاتب ووصولها الى جميع الأسماع وقد جعل أساس تقدم المرأة السفور والتعليم .

وكان يقول إن الحجاب يرجع إلى تقاليد اجتماعية بحتة لاصلة لها بالدين فيكفى أذن للتخلص منه اصلاح اجتماعى بسيط لا يؤذى الدين فى شىء ولا يصطدم به ، وقد أصر على وجوب سفور المرأة إذ رأى بثاقب بصيرته أن السفور هو الخطوة الأولى فى سبيل تحريرها لأن الحجاب كان حقيقة فى مقدمة الأسباب التى تعوق تقدمها من النواحى الفكرية والاجتماعية والأدبية فلم يكن فى الامكان مع وجوده اعتبارها مخلوقا حراً ومن أجل ذلك لم تكن لحياتها قيمة معنوية . فسفور المرأة هو الذى يؤهلها للتعليم والتثقيف ومواجهة الجيل الجديد بحياة جديدة

وأثارت هذه الآراء التى بسطها قاسم أمين رد فعل بعيد الأثر فى البلاد حتى أن الشعب فى أكثريته الساحقة قام يناهضها إذ بدا له تحرير المرأة ـ كما يبدو كل تطور جديد ـ حدثاً مخيفا فحاول أن يحول دون تحقيقه بجميع مالديه من الوسائل . وقد رأس طلعت حرب باشا الاقتصادى المعروف حركة المناهضة لتحرير المرأة إذ كان رحمه الله فى ذلك العهد عدوا لكل تطور

نسائى ، ورد على كتابى قاسم أمين فى كتيبين هما أجدر الكتب التى صدرت عن المحافظين .

وفى هذا الجو الصاخب الذى أثارته آراء قاسم أمين ظهرت السيدة ملك ناصف الملقبة بباحثة البادية فوضعت حداً لهذه الضجة وكانت مثلا حيا لحرية المرأة .

كانت ملك ناصف سيدة مفكرة وكاتبة لبقة قديرة تعانى أشد الألم من تلك الحياة الخاملة التى لاتنطوى على مزايا ولا أهداف ، ولما كانت هى قد تألمت شخصيا من تعدد الزوجات فى محيطها ومن عدم الاكتراث بشخصية المرأة فقد نشرت سلسلة من المقالات تنم عن شعور حى مؤثر فتردد هذا الصوت الصادر من الأعماق فى المحيط النسائى وأصبحت كل سيدة جريحة القلب تلمس فى هذه الصرخة فرجة من أمل .

ولدت باحثة البادية بالقاهرة وكانت أولى الفتيات فى أول سنة دخلن فيها امتحان الابتدائية وأولاهن فى أول فرقة تخرجت من المعلمات السنية أتقنت الانجليزية والفرنسية وتبحرت فى اللغة العربية ولها فيها شعر مشهور يحفظه تلاميذ المدارس الثانوية . قال معالى لطفى السيد باشا رئيس المجمع اللغوى ومدير الجامعة الأسبق . «فأما انتقاد رسائلها من جهة صناعة الكتابة فحسبى أن أقرر فى غير محاباة أنها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها فى عصرنا

الحاضر . بل هى تعطينا فى كتاباتها صورة الكاتبات العربيات اللاتى تفوقن على كثير من الكتاب ، وآثارها من « النسائيات » الذى طبع الجزء الأول منه ولايزال جزؤه الثانى منشوراً فى « الجريدة » وبعض الصحف الأخرى المعاصرة لها وجلها عن إصلاح المرأة من وجهة التعليم والأسرة والمجتمع وقد اتجهت الى استخلاص مزايا الغرب مع المحافظة على تقاليد المرأة المصرية عامة والمسلمة خاصة ولها محاضرات فى الجامعة المصرية وغيرها من هذه الموضوعات .

وكان قاسم أمين قد قام يدافع عن حقوق المرأة فى كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ولكنه لقى عنتاً كبيراً من كثرة الكتاب على صفحات الجرائد غير مائة كتاب ألفت للرد عليه أما باحثة البادية فقد قصرت مطالبها على النافع الألزم بالروح التى أشرنا اليه فلقيت التأييد من الشيوخ المسلمين كما لقيته من المجددين كما هو مدون فى التقاريظ الهامة التى ذيلت كتابها ولم يلق أحد المصلحين اجماعا على الاكبار والتقدير كما لقيت ملك ناصف فى حفلتى التأبين اللتين أقام أولاها عدلى يكن باشا برياسة اسماعيل باشا صبرى بالجامعة المصرية وأقام ثانيتها هدى هانم شعراوى واشترك فيها العلماء والكبراء وذكر المؤبنون لها أنها أول سيدة مصرية قامت تطلب إنصاف المرأة وتدافع عن حقوقها فى مؤتمر

عام عقد فى (سنة ١٩١١) واشترك فيه طلاب الاصلاح عن كل مرفق من مرافق الدولة ، فقدمت مطالب كانت لها أهمية فذة لا سيما فى عصر الجهل والرجعية ولا يزال بعض هذه المطالب مما يجب السير فيه كتعليم البنات الدين الصحيح . تعليم البنات التعليم الابتدائى والثانوى مجانا . جعل التعليم الأولى اجباريا فى كل الطلبات والإكثار من المجانية فى بقية مدارس البنات وإنشاء غيرها من المدارس وتعليمهن التدبير المنزلى علما وعملا وقانون الصحة والاسعافات وتربية الطفل ، تعليمهن الطب بأكمله وفتح باب التعليم العالى لمن تستطيع منهن ، تكثير المستشفيات الخيرية والصيدليات للمرضى من النساء والأطفال ، منع الحيف الواقع على النساء فى الطرق والاجتماعات ومنعهن من المشى فى الجنازات ومن الاجتماع للطم والندب والتعديد . عدم اباحة الطلاق وتعدد الزوجات الا لمبرر . التشريع لصلاح العائلة . وقد ألم مستشرق كبير ببعض نواحى نشاطها فى سطور .

قال الدكتور تشارلز آدمز فى كتابه « الاسلام والتجديد فى مصر » « قامت ملك حفنى ناصف ومرجل الغضب على قاسم وكتبه ما يزال يغلى وأخذت تكتب عن حقوق المرأة وتتحدث عنها : كانت ملك احدى بنات حفنى ناصف وهو من شيعة الشيخ محمد عبده ومن أفاضل رجاله وقد نشأ ابنته ورباها على الأساليب

والآراء التى كانت تأخذ بها الجماعة فى تفكيرها الراقى الحر وتدل مجموع خطبها ومقالاتها على أنها لم تتردد فى تناول الكثير من المسائل التى جعلتها كتب قاسم أمين موضوعا للجدل الحاد العنيف ولكنها كانت أشد محافظة منه .

وتوفيت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٨ فى سن الثانية والثلاثين ولم يخلد ذكرها لا من جهة الحكومة ولا من جهة الهيئات النسائية ولا من جهة الشعب ، كما أن آثارها لم يكمل جمعها ولم تدرس بالتفصيل الجدير برسالتها العظيمة .

وفى خلال الحرب العظمى أنشأ الأستاذ عبد الحميد حمدى صحيفة سماها « السفور » أنشأ فيها كثيرون من الكتاب المعروفين اليوم فصولا يدعون فيها الى سفور المرأة فى كل شىء ، وفى مقدمتهم معالى الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والشيخ على عبد الرازق ومعالى طه السباعى بك وصاحب المجلة ، وغيرهم من أنصار المرأة الذين كان لهم فى نهضتها أثر بعيد .

ثم برزت السيدة هدى هانم شعراوى الى الميدان فجعلت لنهضة المرأة شكلا دقيقا واضحا وأظهرته بمظهر قوى متين وكانت هى أول سيدة أعلنت السفور وقد أنشأت فى مصر حركة نسائية كللت بالنجاح العظيم تردد صداها فى أقطار أوروبا ، وسجلت جهودها مرحلة فاصلة من مراحل تحوير المرأة ، وقد شجعت عدداً

كبيراً من الفتيات المصريات على الانصراف الى تحصيل العلم لا فى مصر وحدها بل فيها وفى أوروبا أيضا كى تعود الطالبات حاملات إلى الوطن عناصر الثقافة الغربية ومثلها العليا فى الحياة الاجتماعية

وانتشرت بقوة هذه العوامل حركة تعليم المرأة وتحريرها رغم التمسك بالتقاليد البالية ، وكانت الأسر الراقية إلا فى القليل النادر منها ترى أن التعليم والعمل مما يحط من مكانة المرأة وكرامتها . وكان لا بد من القضاء على هذه التقاليد السخيفة فكانت الكلمة الأخيرة فى هذا النضال ضد الآراء القديمة للدكتور طه حسين بك فقد شجع الفتيات على الإقدام على طلب العلم وتجاوز الدراسة الابتدائية والثانوية إلى الدراسة فى المعاهد العليا والجامعات .

ولم تكد تلك التقاليد تتلاشى ويلق بها جانبا بفضل جهود الدكتور طه حسين بك ومدرسته من أصدقائه وتلامذته حتى أخذ الناس يتسابقون فى تحرير بناتهم وتعليمهن

وكان من نتيجة هذه الجهود مجتمعة أن تيسر تحقيق حلم الخديو اسماعيل القديم وهو اعتبار مصر جزءا من أوروبا وما كان ذلك ليتم إلا برفع شأن المرأة إلى مستوى الرجل وشعورها

بقيمتها الفردية والاجتماعية والتمتع بحقوقها الطبعية بحيث تكون مخلوقا حرا له مكانته المعنوية والأدبية

وبعد فنحن نقدم هذا الكتيب لقراء اللغة العربية مسجلين فيه تطور الحركة النسائية فى مصر وقد حاولنا ما وسعنا الجهد أن نجعله صفحة تاريخية ليس لنا فيه إلا فضل التسجيل والرواية لأن النهضة النسائية فى مصر قد تخطت الحواجز الخطيرة ولم تعد فى حاجة إلى جدال أو مناظرة وسوف تمضى النهضة قدما فى طريقها المستقيمة من غير عائق أصيل أو مفتعل .

ولا يفوتنا أن نذكر بالشكر صديقنا الدكتور عزت عبد الكريم مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب فقد أمدنا بمجموعة طيبة من الوثائق المتصلة بهـــذا الموضوع فى عصرى محمد على والخديو اسماعيل .

الفصل الأول

المرأة فى الاسلام

ان الذين لا يعرفون الاسلام ينسبون اليه أنه حط من قيمة المرأة وسلبها كل كرامة ويلقون عليه تبعة ما كانت فيه من جهل وهم فى هذا مخطئون ، فان جميع ما أدخله الاسلام على عادات العرب من الاصلاح فيما يختص بالمرأة كان فى مصلحتها ، وإذا نحن نظرنا إلى روح المبادىء الاسلامية تبين لنا أنها لا تتعارض وحرية المرأة .

أنظر مثلا الى مسألة تعدد الزوجات وهى فى مقدمة المسائل التى يأخذون على الاسلام تسامحه فى شأنها ، ولا شك فى أن المصريين الذين أقاموا زمنا فى الخارج قد سمعوا النقد الموجه الى الدين الاسلامى من أجل تعدد الزوجات وهم يقولون إن الاسلام هو الذى أوجد هذا النظام والواقع الذى لا ريب فيه هو أن الاسلام لم يضعه بل كان موجوداً

قبل نشأته إذ كان فى وسع الرجل أن يقترن بعدد غير محدود من النساء أو بالعدد الذى يريده منهن على حسب قدرته المادية ، ويظهر أن هذا النظام كان يلائم حالة العرب الاجتماعية حتى أن النساء أنفسهن لم يكن يتذمرن منه بل كن يعتبرنه من مقتضيات الحياة .

وعلى هذا يكون الاسلام قد قيد نظام تعدد الزوجات فلم يعد يبيح للمسلم الاقتران بأكثر من أربع وبذلك وضع حداً للفوضى التى كانت سائدة من هذه الناحية بل يمكن القول إنه مهد السبيل للاقتران بامرأة واحدة ، ولم يكن من السهل الانتقال فجأة من حالة التعدد إلى الزواج بواحدة وكل شىء فى المجتمع يتطور تطورا تدريجيا ولو فرض على العربى فى ذلك العهد أن يقترن بواحدة فقط لتبرم بحياته الخاصة بل لتبرم بدينه الجديد أيضا .

وقد كان تقييد الزواج بعدد محدود من النسوة يلائم حالة المجتمع العربى عند نشأة الاسلام ، وما من تشريع يكتسب قيمة عملية الا إذا وافق حالة القوم الذين يوضع لهم ، ومادام هذا النظام — قل تقييده أو كثر — قد دل على ملاءمته للحالة الاجتماعية عند وضعه فلم يكن ثمة سبب منطقى يحمل الاسلام على الغائه والقضاء عليه قضاء تاما .

على أن هذا النظام لم يعد يصلح لمجتمعنا الحالى بعد أن طرأ على الأحوال الاجتماعية ما طرأ من التبدل العظيم وهو آيل إلى الزوال تحت

تأثير الأحوال الاقتصادية والاجتماعية الجديدة وأكبر الظن أننا نشهد الآن بدء زواله وانصراف الناس عنه ، وما ذلك الا لأن المرأة التى اكتسبت شخصية قوية غدت لها مطالب كثيرة لم تكن لها من قبل وإزاء هذا يكاد يتعذر على الرجل من الناحيتين المعنوية والاقتصادية أن يقترن ببضع زوجات

ومعنى هذا أن نظام تعدد الزوجات الذى نشأ لأسباب اجتماعية يزول لأسباب اجتماعية أيضا ، وكان فضلا من الاسلام أن وضع له حدا لا يتجاوزه إذ كان ذلك كما سبق القول تمهيداً لاختصاره وإيصاله إلى نظام الزوجة الواحدة.

وقد رفع الاسلام من مقام المرأة بالقضاء على بعض عادات وتقاليد أخرى قديمة أخصها عادة وأد البنات عند العرب قبل الاسلام فقد كانوا يفضلون اهلاك هذه المخلوقات البريئة خشية الاستهداف لما قد يمس الشرف بسببهن أو خشية الاملاق ، فلما جاء الاسلام قضى على هذه العادة الشنيعة مبيناً ما فى قتل المخلوق البرىء من الوحشية والظلم ، وكان لما اشتهر من حب النبى الكريم لابنته أكبر أثر فى اعلاء شأن المرأة وتعزيز كرامتها ، كما أنه صلى الله عليه وسلم أصغى بالمودة إلى زوجاته ورأى فى احداهن مقاما يرفع من مقام المرأة فى كل مكان وزمان ، أليس هو القائل عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، خذوا نصف دينكم عن

هذه الحمراء ؟ ولم يقل النبي الكريم هذا القول إلا وهو مؤمن بأنها على خلق ودين وأنها قمينة بأن تكون مثلا يؤتم به ويؤخذ عنه ، فقد وضع رسول الله ثقته فى سيدة ، وفى ذلك نصر لكل سيدة تعرف واجبها ودينها

ثم إن الاسلام أيد المرأة أيضا فى نظام المواريث فخصها بنصف نصيب الرجل بحسب شروط الارث ولم يكن الأمر كذلك قبل الاسلام .

فيمكن الاستنتاج من هذه النظرة السريعة الى بعض الاصلاحات الاسلامية أن الدين الاسلامى يميل الى الأخذ بيد المرأة عكس ما أذيع عنه من ترهات .

ومن أعظم مزايا الدين الاسلامى أنه يشمل تشريعا حقيقياً للحقوق وأمور الاجتماع ونظمه ، وهو فيما يختص بالمرأة لم يهمل شيئاً من مصالحها إذ تناول القرآن الكريم جميع شؤونها بحيث أن المرأة لا تجد ما تحتاج الى المطالبة به من الحقوق إذا فسر القرآن بروحه الحقيق

وينبغى لنا هنا أن نميز بين القانون والواقع ، فاذا كانت المرأة فى الواقع تعانى أحيانا بعض الظلم فذلك يرجع فى حالات كثيرة إلى جهلها مدى حقوقها أو إلى تفسير القواعد الدينية تفسيرا غير سليم فلو زال هذان السببان لارتقت المرأة المسلمة الى مستوى أكثر النساء تمدنا فى العالم

ولنلق الآن نظرة على بعض المشاكل الهامة الخاصة بالمرأة ومصالحها وفى مقدمتها مسألة الزواج فى الاسلام .

ذلك أن الزواج الاسلامى يعد فى نظر بعض الناس بمثابة صفقة تعقد بين والد الفتاة أو وصيها وبين طالب يدها ، وقد ترتب على هذا اعتقاد ذلك البعض أن المرأة لا تستطيع التصرف بنفسها وأنه لا حق لها فى اختيار زوجها ، وهذا كله بعيد عن الصواب فالمرأة المسلمة تملك حرية التصرف فى أخص خصائص حياتها ونعنى بها حقها فى اختيار زوجها . فأنه لايستطاع عقد زواجها الا إذا أعلنت هى موافقتها على ذلك .

وإذا كان الواقع أحياناً يختلف عما تقدم وكان بعض الآباء يجبرون بناتهم على الاقتران برجال لايرغبن فى الاقتران بهم فالسبب يرجع الى ما ينقص هذا البعض من الفهم والادراك ولايجوز أن تنسب تبعة مثل هذا التصرف الى الدين وقواعده . وقد تجد فتيات يوافقن على الاقتران بمن يتقدم اليهن من الرجال مراعاة لأهلهن أو خشية منهم جريا على العادات القديمة واحتراما للتقاليد البالية دون أن يكون للدين أى دخل فيما يترتب على هذا الوضع من آثار ، وما ذلك الا لأن المرأة كانت فى الماضى لا تخرج من بيتها ولا تختلط بالرجال فلم يكن يتاح لها فرصة لاختيار زوجها بنفسها ، وكان المنطق يحتم أن ينوب عنها والدها أو وصيها فى اختياره لها ، ثم أن الفتاة لم تكن تستطيع الظهور أمام الشاهدين عند كتابة العقد فكان على الأب أو الوصى أن يعلن أمام المأذون والشاهدين موافقة ابنته أو ربيبته على الزواج ، والمفروض فى الأب

والوصى الأمانة فى نقل هذه الموافقة .

وهذا النظام كان كما يبدو لنا يلائم المجتمع فى ذلك العهد إذ لم تكن المرأة قد سارت فى طريق التطور ولم يكن لها رأى خاص فى أمر اختيار الزوج بل كان الرأى لأبيها بوجه عام ولذلك كان اختيار الأب فى الغالب يرضى الفتاة فلا يخيب أملها إلا فيما ندر ، ومضت الحال تسير على هذا النهج الى أن تطورت الحياة الاجتماعية فتعقدت مسائل الزواج القديمة وقامت العقبات فى سبيلها لأن المرأة اكتسبت شخصيتها ونالت قسطا من التعليم فغدت تفكر وصارت لها آراء خاصة ولم يعد فى الامكان أن تتبع آراء غيرها دون تفكير أو وزن للأمور .

ومتى كان الآباء من جيل والأبناء من جيل آخر كان من الطبيعى أن ينظر أولئك الى الأمور نظرة اليوم ومن أجل هذا عز هضم الجيل القديم لاتجاه الجيل الجديد وتباينت طرائق النظر إلى الأمور وأصبح من العسير على الطرفين الالتقاء عند نقطة واحدة .

وقد رأى كثير من الآباء أن يماشوا التطور الجديد وأصبح فى استطاعة المرأة أن تظهر أمام الشهود وتمتنع إذا أرادت الامتناع عن ابداء موافقتها على عقد الزواج فليس لأحد حق فى اجبارها على زيجة لا يرضى عنها عقلها أو يرفضها حسها وقلبها .

فيتضح مما تقدم أن للمرأة المسلمة حق التصرف المطلق بشخصها ولها الحرية فى أن تختار زوجها بنفسها .

° ° °

ومن الأمور التى كثر الجدل فيها فى موضوع الزواج الاسلامى أمر المهر وللغربيين فيه رأى خاطىء إذ يعتقدون أنه مبلغ من المال يقدمه الزوج لشراء زوجته ، وإذا كان هذا ما يعتقدون فما قولهم فى «الدوطة» التى تقدمها المرأة الغربية إلى زوجها ؟ انها على هذا القياس مبلغ من المال تشترى به الزوجة زوجها !

ان الاسلام لم ينظر الى المهر تلك النظرة الخاطئة والأصل فيه أنه هبة يهبها الزوج للمرأة لمناسبة الزواج وضمان مادى لمستقبلها وهو فوق ذلك يعطيها بعض الاستقلال لأنه عند ما يصل اليها يصبح ملكا خاصاً لها تستطيع التصرف فيه كيفما شاءت فيكسبها شيئا من الطمأنينة فى الحياة من الناحية المادية وحرية نسبية تجاه الزوج ، وهاتان المزيتان لا تتفقان بطبيعة الحال مع فكرة الشراء التى تقترن فى نظر الغربيين بدفع المهر ، فلو كان الغرض من المهر شراء المرأة لجعل منها أمة لا سيدة حرة كما هى حال المرأة المسلمة التى لها مطلق التصرف فى شخصها وما تمتلك ، فالمهر يعد هبة فى العرف وفى تعاليم الدين الاسلامى نفسه .

واذا كانت المرأة قد عانت أحيانا بعض المظالم من هذه الناحية

فالسبب لا يرجع الى المبادىء الدينية بل يرجع الى عوامل أخرى فى مقدمتها حاجة المرأة الى استكمال مقومات شخصيتها باعطائها حرية العلم وحرية الحياة ففى الوقت الذى تدرك فيه المرأة كامل حقوقها تزول تلك المظالم وتعود الأمور الى نصابها .

ومن الظواهر الملحوظة فى تاريخ المرأة المصرية — والشرقية عامة — أنها تتأثر فى ذلك خطى المرأة الغربية ولعل الفرنسية فى المقدمة ونحسب أن المرأة المصرية تنسى وهى تتأثر زميلتها الغربية وتتخذ منها قدوة واماما أن الشريعة الاسلامية السمحاء قد كفلت لها من الحقوق ، وأنشأت لها من أنواع السياجات والحمايات ما لم تكفله لزميلتها الغربية شريعة أخرى ، ولسنا هنا بسبيل تعداد هذه التشاريع واستعراض حقوق المرأة ومكانها فيها فان ذلك مما يضيق به نطاق البحث غير أنه يقطع فى التدليل على صواب ما نقول أن نتناول مكان المرأة من التشريع الاسلامى ومكانها من القانون المدنى الفرنسى فى ناحية واحدة هى فصل الخطاب فى الموضوع ، هذه الناحية هى أهلية كل من الزوجة المسلمة والزوجة الفرنسية فى التصرف فى مالها الخاص وابرام ما يقتضيه ذلك من العقود والمعاملات ، فاما الشريعة الاسلامية فقد كفلت للزوجة حقها فى ذلك مطلقا من كل قيد مبرءا عن كل حد فهى تستطيع أن تبيع من مالها أو تشترى من مالها ويقع كل ما تجريه فى ذلك من التصرفات سليما يقره القانون ، ولا مطعن عليه الا فيما يتصل بذلك من أحكام القانون العام ، فهى من هذه الناحية

تقف مع الرجل على قدم المساواة لا يسبقها ولا يتقدم عليها ، أما الزوجة الفرنسية فانها تفقد بالزواج جدارتها لاجراء هذه التصرفات فان ما تقدم عليه منها لا يقع صحيحا الا إذا أقره زوجها فالزواج يحد من أهلية المرأة الفرنسية ويجعل للزوج فيما يتعلق بطائفة من تصرفاتها — نوعا من الوصاية عليها — لعلها من حيث الكنه والجوهر لا تختلف عن تلك الوصاية التى شرعها القانون لحماية ناقص الأهلية أو عديمها .

فاذا أضيف إلى هذا أن المرأة الفرنسية — وتشاركها فى ذلك المرأة الغربية عموما — هى التى تمهر الزوج وتسعى اليه بهذا النظام المعروف بالدوطة فى حين أن ما يجرى فى بيئة المرأة المسلمة — والشرقية عموما — هو العكس تماما إذ الزوج هنا هو الذى يطلب الزوجة ويسعى اليها ، ويمهرها صداقا يتفق مع حظ كليهما من المكانة الاجتماعية والماديه ، وهو نظام مهما ينتج عنه من المتاعب والمكاره ويكتنفه من الضيق والتبرم فى كثير من الحالات ، فانه يعتمد على مبدء سليم ووضع قديم ، هو تكليف الرجل بخطب ود المرأة وأن يدفع فى ذلك — الى جانب خصائصه الأدبية والاجتماعية الأخرى ثمنا من جهده وكده فهو رمز الى سعى الرجل للمرأة والعمل على استهوائها ، يحفظ عليها كرامتها ويصون عليها حياءها ويرفع فى نظر الرجل قدرها ونظام الدوطة قديجددفاعا ، ودفاعا قويا فى كثير من الأحيان فى هذه الاضطرابات

الاجتماعية والاقتصادية التى تداولت ولا زالت تتداول المجتمع الأوربى والأمريكى مما كان من آثاره فقدان التوازن بين عدد النساء وعدد الرجال بأن تسعى المرأة للرجل وتغريه بنفسها بكل سلاح ، بما فيه سلاح المال فى شكل الدوطة المعروفة ، على أنه مهما تكن العوامل والأسباب التى تبرر هذا النظام ، فأنه فى جوهره لا يتفق مع ما ينبغى للمرأة من حصانة وما تمتاز به طبيعتها من دلال الأنوثة وحيائها .

فلم يعد مراء ولا شك فى أن أهلية المرأة المسلمة بعد الزواج ، أهلية كاملة لا يحدها قيد أو يشوبها نقص ، وإلزام الرجل بأن يسعى اليها من نفسه وماله إذا أراد زواجها ، هما وضعان يترجمان عن احترام المرأة وتكريمها وتوفير ما ينبغى لها من رعاية واحتفال .

* * *

وهناك مسائل ثلاث تكاد أن تتساوى من حيث الأهمية وهى : الأرث والطلاق وتعدد الزوجات .

وسنقصر فى هذا الفصل الحديث على الأرث ومشكلة الطلاق ونعلق حديثنا على المسألة الأخيرة وهى مشكلة تعدد الزوجات الى فصل آخر نستعين فيه بتفسير بديع للقرآن قام به الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

أما فيما يختص بنظام الارث فقد قرر الاسلام للمرأة أن ترث نصف نصيب الرجل إذا تساوت فيهما شروط الارث وهذا يتفق والمنطق لأن

الرجل هو الذى يقوم بالانفاق على الأسرة وليس على المرأة أن تفعل ذلك . وما يؤول اليها من الميراث يعتبر بالنسبة اليها مصدرا لليسر وما قد تنفقه فى بيتها من مالها يحسب بمثابة معاونة اختيارية إذ ليس هناك ما يلزمها بها ، فالشرع الاسلامى لم يظلم المرأة بل بالغ فى اكرامها إذ خصها بنصف نصيب الرجل عند تساوى شروط الارث فى الاثنين .

أما مشكلة الطلاق فالغربيون يأخذون على الاسلام أنه جعل جميع مزايا الطلاق فى جانب الرجل دون المرأة وهذا لا يتفق والواقع تماما لأن فى وسع المرأة أن تطلب الطلاق لنفسها على شرط أن تحتفظ بهذا الحق فى عقد الزواج فان لم ترقها الحياة الزوجية تلجأ الى الأخذ بهذا الحق عند الحاجة ولا يحق للزوج منعها من ذلك ، وهكذا يصبح الطلاق حقا مباحا للمرأة والرجل على السواء .

يقال إن المرأة المتعلمة التى تدرك حقها هى وحدها التى تفكر فى الاحتفاظ بهذا الحق ، ونحسب أن المنطق يقضى علينا بأن ندافع عن حق المرأة فى هذه الناحية ، إذ أنها بلغت مرتبة من الفكر والعقل قريبة أو مساوية للرجل . أما المرأة التى ظلمها الزمن بالجهل فينبغى أن يحال بينها وبين أمثال هذه الحقوق حتى تتعلم فتقدر حياتها عامة وحياتها الزوجية خاصة .

يستنتج مما تقدم أن الاسلام يؤيد مصالح المرأة ، وأن بعض المظالم

التى تعانيها المرأة أحياناً لا يرجع السبب فيها الى القرآن بل يرجع الى سوء تأويله وعدم الأخذ بروحه ، والذين يأبون على المرأة المسلمة هذه الحقوق هم فى الواقع خصوم دينهم وإن كانوا يأخذون بتفسيرهم المغرض لتعاليم الدين تكأة يعتمدون عليها فى ظلمهم للمرأة متعلة أو جاهلة والاحتفاظ بمستواها الاجتماعى فى مكان ان يقبله القرن العشرون مهما تؤآزرهم قوى الرجعية وسلطانها .

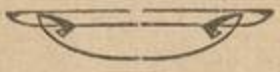

الفصل الثانى

النهضة النسائية

فى عهد محمد على

يرى المؤرخون أن مصر الحديثة تبدأ بالحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ وهم يقررون ذلك لأن مصر شهدت جديدا أثناء تلك الحملة وأنها منذ عرفت الفرنسيين عرفت التقدم فى مراحله جميعا وأنها مضت قدما نحو أهداف سياسية واجتماعية وشاركت فى الحياة الدولية العامة مشاركة الأصيل وأخذت على عاتقها رسالة شغلت بها القرن التاسع عشر فى الشرق والغرب على السواء.

وصحيح أن تاريخ مصر الحديثة بنزول الفرنسيين وادى النيل مبدأ مقبول الى حد بعيد الا أن ذلك يرتبط أشد الارتباط بشخصية هيأها القدر لتفيد مصر وتفيد معها سمعة الفرنسيين، هذه الشخصية الفذة فى التاريخ العالمى عامة وفى التاريخ المصرى خاصة هى شخصية محمد على الكبير، الكبير حقا بروحه الوثابة وبصيرته النافذة ومرونة أسلوبه فى تناول الحياة.

لولا محمد على لما استطاع المؤرخون أن يثبتوا هذه الحقيقة التاريخية

القائلة بأن تاريخ مصر الحديثة يبدأ بنزول الفرنسيين مصر ، فقد يكون نزولهم مفترقا للطرق بالنسبة الى أوروبا التى فتحت المسألة المصرية بتلك الغزوة ولكن وجودهم هذه الفترة القصيرة فى مصر ما كان يمكن أن يكون مبدأ لمصر الحديثة لولا محمد على الذى خلق أمة وأنشأ حكومة فى مطلع القرن التاسع عشر .

فقد ولى محمد على شئون مصر فى جو من الضيق والتبرم وفى جو من الفقر والجهل فاستقرت بوجوده حياة مصر الداخلية ، وخلق هو أول حكومة مصرية فى العصر الحديث فى أسلوب شديد الشبه جدا بحكومات الغرب ، فقد نقل الوالى الجديد كثيرا من النظم الغربية فى التعليم والإدارة والجيش ، وكانت مفاخره أكثر من أن تحصى أو تعد وفى مقدمتها نهضته التعليمية التى ضرب بها فى جميع النواحى .

وقد يرى بعض المؤرخين أن النهضة التعليمية اتجهت فى معظمها الى البنين وأن قسطه فى تهذيب البنت وتعليمها قليل جدا إذا قيس بسهمه فى تنوير الذكور وتكوين جيلهم والبلوغ به الى أقصى ما يطمح اليه جيل من الرقى الفكرى والعلم الواسع والثقافة العليا ، ومحمد على معذور إذا هو لم يخلد أثره فى تعليم البنت كما خلده فى تعليم الولد ، فان تعليم الذكور فى عهده كلفه متاعب أهونها أن البيئة لم تكن تستسيغ هذا العلم الجديد وكانت تراه ذلا أو تضييعاً للوقت لامبرر له ، وقد كافح محمد على

باللين والشدة لالزام الناس على التعليم ، وكان يشرح صدره أن يرى شخصا من الأشخاص وقد عاد من أوروبا وخلق فى عمله وجوّد فى وظيفته ، وكان يحزنه أن يرى شخصا وثق به فضيع الثقة فيه .

فاذا كانت التقاليد قد حاربت محمداً علياً فى كفاحه من أجل تعليم الذكور وتثقيفهم فان هذه التقاليد كانت أقوى منه فى تعليم البنات وتثقيفهن لأنه استطاع أن يتغلب عليها بالنسبة الى الذكور بيد أنه هش لها وحاورها فى رقة ولين لينتزع منها الموافقة على تعليم البنات المصريات فى حيز ضيق من ألوان التعليم هو موضوع حديثنا وهو أيضاً مبدأ سليم لنشأة النهضة النسائية فى مصر .

لم يكن فى وسع محمد على أن يخلق فى بيئة المرأة المصرية ما حاول خلقه فى بيئة الرجال غير أنه كتب لنفسه فى التاريخ فضل أول مصرى ينهض بالمرأة فى جيل لم يكن فيه للمرأة أى اعتبار .

رأى محمد على أن بين المصريات من تخصص لأعمال الولادة فى جهل يترتب عليه آثار خطيرة فى حياة الوالدات ثم رأى أن البيئة الاجتماعية فى مصر لا تحتمل الأطباء لمعالجة المصريات لأن فى ذلك خروجا على التقاليد والعادات وهى تقاليد وعادات كانت لها حرمة الدين فى ذلك الزمان ، وهو قد فرغ من انشاء مدرسة الطب للذكور ثم وجد أن الحاجة ماسة الى انشاء مدرسة مماثلة للإناث وإن كانت دون مدرسة

الذكور فى نظمها وبرامجها ففكر فى سنة ١٨٣٠ فى انشاء تلك المدرسة .

ولما كان محمد على حاكما مرنا عارفا لطبائع الناس رأى أن ينشىء مدرسة لتخريج مولدات متعلمات كان الغرض منها تطبيب النساء ومعالجة أمراضهن السرية فصدر أمر عال الى حبيب أفندى مأمور الديوان الخديوى بأن يختار من حرم قصر القلعة بعض الأغوات الملمين بالقراءة والكتابة ليتعلموا باشراف كلوت بك الطب والجراحة ثم قرر الأمر العالى بأن يشترى عشر من الجوارى السوداوات ليتعلمن باشراف كلوت بك ايضا صناعة التوليد والطب والجراحة ، وكان هؤلاء الأغوات واولئك الجوارى أول طلاب عرفتهم مدرسة الولادة الملحقة بمدرسة الطب البشرى بأبى زعبل .

وان اختيار محمد على لبعض الأغوات وشراء بعض الجوارى لا يدخله بين أصدقاء النهضة النسائية فى مصر لأن الأغوات والجوارى لا يعطون فكرة مثالية عن انهاض المرأة المصرية ولكن محمد على هذا الحاكم المرن يريد أن يفتح مدرسة ليتعلم فيها المصريات بعض ألوان الطب وهو يخشى أن يلزم الآباء بتعليم بناتهم فيها وانما هو يريد أن يجعل من الجوارى بعد أن تنجح التجربة مثالا طيبا يغرى المصريين على الحاق بناتهم فى مدرسته الجديدة ، هو لا يريد أن يسوق الطالبات إلى مدرسة البنات سوقا كما كان يفعل فى مدارس البنين ، لذلك اشترى الجوارى

فقيرات أميات لا عائل لهن يعانده فيما أقدم عليه من تعليمهن .

وقد بدأ محمد على فى اعداد اولئك الجاريات للمهنة الجديدة بتعليمهن القراءة والكتابة وبعض أصول الدين وقليلا من الحساب ثم أمر فدرست لهن رسالة فى فن التوليد قامت بترجمتها الدولة لهذا الغرض خاصة واستدعى تدريس هذا الفن تطبيقا عمليا كما كان يحدث فى مدرسة الطب للذكور وكان هذا أيضا أمرا متعذرا فأعد تمثال مفصلا تفصيلا يعين التلميذات على تفهم ما تلقيه عليهن الآنسة جوليت معلمة هذه المدرسة والطبيب المصرى الآخر فى تلك المدرسة وهو أحد مبعوثى الوالى لتعليم الطب فى باريس ، وقد أحبت جوليت تلميذاتها حبا جما ورأت أن تزيدهن علما بالحياة فخصصت وقتا تعلمهن فيه اللغة الفرنسية .

وبعد ثلاث سنوات من دراسة متصلة لهؤلاء الجاريات تكونت أول باكورة لمدرسة الولادة فى عهد محمد على بيد أن هذه الدراسة كانت فى الواقع دراسة نظرية ينقصها التطبيق العملى وهو نقص فاضح فى هذه المهنة الخطيرة المتصلة بحياة الناس وأعمارهم وأرادت الحكومة أن تعوض هذا النقص فى خريجات مدرسة الولادة فأنشأت مستشفى صغيرا لأمراض النساء بقرب مدرستهن بأبى زعبل يتسع لعشرين سريرا وكان محمد على حريصا أشد الحرص على نجاح هذه الباكورة من الحكيمات لأن نجاحهن سيشجع المصريات على الالتحاق بالمدرسة فكان يشاهد من قريب نشاطهن وكانت الاختبارات العملية التى تجرى بينهن ترفع له

ليسر خاطره ، وكان نجاح أولئك الفتيات مبررا لزيادة عدد تلميذات المدرسة .

كان عدد التلميذات المصريات نادرا جداً فى السنوات الأولى التى أنشئت فيها المدرسة وكان معظم تلميذاتها من الحبشيات ولم يكنّ على ذكاء نادر ولم تكن صحتهن يواتيها جو مصر البارد نسبيا اذا قيس بجو الحبشة فكن يقضين بعد شهور من مواصلة الدرس إمصدورات بفعل الجو أو نتيجة للجهد المضنى فى التحصيل

ثم كان كلوت بك غير راض عن هذا الاختيار فهو يرى أن نجاح هذا العمل وانتشار هذا الفن يقتضى تمصير المدرسة بمعنى أن يكون تلميذاتها من المصريات حتى يفيد المجتمع المصرى من وجودهن بينه ولأنهن أقدر الناس على فهم هذا المجتمع وخاصة إذا حظين بقسط من التعليم والتعليم الطبي خاصة الذى تحتاج اليه البيئة المصرية كل الاحتياج

فكر كلوت بك فى ذلك تفكيرا عميقا وكاد أن يعجز عن تمصير المدرسة ولكن الفرصة واتته إذ كان بعض الفتيات الفقيرات يعالجن بمستشفى أبى زعبل واستمر علاجهن وقتا طويلا فلما برأن مما كن فيه من أمراض أحست ادارة المستشفى أنهن يتيمات محرومات إذ لم يتقدم لأخذهن أو اعالتهن أحد من الناس فألحقهن كلوت بك تلميذات بمدرسة الولادة ومضى المعلمون يعلمونهن القراءة والكتابة مقدمة لتعلم مهنة القبالة حتى إذا وفقن فى تعلم القراءة والكتابة كتب الى شورى المدارس ليخصص

لهن من الغذاء والكساء والمرتب ما خصص لتلميذات مدرسة الولادة وأقر الشورى رغبة كلوت بك وهى صدى لرغبة الجناب العالى ، والشورى يذكر لنا فى موافقته ، الفكرة النبيلة التى تدور فى مخيلة محمد على الكبير إذ أنه كما يقول كتاب الشورى « سيوافق على أن تحصل مثل هؤلاء البائسات العلوم التى تمهد لهن سبيل العيش الرغد فى ظل عطفه الكريم فينفعن الناس بعلمهن ومقدرتهن بعد تخرجهن ، ويتخلص السيدات اللاتى تتعسر ولادتهن من آلام الوضع واخطاره ، فولى النعم يريد لأولئك البائسات العيش الرغد ، والعيش الرغد لا يجىء من غير علم والعلم لا خير فيه إذا لم ينفع الناس ، فهو يرجو متعلمات يسعدن الناس بما تعلمن ، وهذه غاية نبيلة وهى جماع ما ترجوه النهضة النسائية لا فى مصر وحدها بل فى العالم أجمع .

وكان هؤلاء الفتيات البائسات أول عنوان للمصرية فى نهضتها الحديثة كما كن أصحاب فضل على الحكومة وتوجيهاتها إذ تشجعت بهن وأقدمت على زيادة عدد التلميذات المصريات فى المدرسة وإن لم يخل الحال من وجود بعض السودانيات بينهن غير أن المصريات اللاتى كثر عددهن فى المدرسة لم يكن من جميع الطبقات إذ بقى اختيارهن من الفقيرات المعوزات اللاتى لا عائل لهن إذ أن الطبقة الوسطى فى ذلك الوقت بقيت محتفظة بتقاليدها التى تأبى العلم أيا كان لونه وتأبى الكسب كما يفعل الرجال ولكن كان بين التلميذات بعض بنات الجنود المصريين

وكان ديوان المدارس يطلب فى وقت معين الى مشايخ الأثمان أن يقبضوا على الفتيات من الشوارع وأن يضمنوهن بحيث إذا فرت احداهن من المدرسة كان على الشيخ الضامن أن يردها الى الحكومة ، والفكرة فى القبض على الفتيات لون من كفاح التشرد فى العاصمة ، وليست جميع التلميذات من المقبوض عليهن بل أن بعض الآباء كان يتقدم ببناته الى المدرسة حبا فى تعليمهن ومجاراة لرغبة الدولة بل كان بعض الآباء يتعهد بأن يقدم للمدرسة طعام ابنته ولباسها وجميع لوازمها إذا احتاج الأمر إلى ذلك .

وكان ديوان المدارس يراقب بشدة سلوك تلميذاته فاذا وقع الاختيار على واحدة وثبت أن ماضيها غير برىء أبى أن يسلكها مسلك تلميذات المدرسة ورفض قبولها ، واذا أساءت تلميذة فى المدرسة الخلق أو ارتكبت إثما من الآثام أنزل بها شديد العقاب ، وفصلها فصلا وكانت التلميذة الجديدة تمتحن شكلا وموضوعا أى يراعى فى اختيارها ماضيها وسمعتها وكان جماعة من أرباب الديوان يقومون بهذا الفحص ، وكان يجب أن يتراوح سن التلميذة المستجدة بين الثانية عشرة والثالثة عشرة ويفرض النظام أن تكون التلميذات أبكارا إذ كان ولاة الأمر يرون أن المطلقة أو الثيب « لا يكون لهن قابلية للتعليم »

بدأت المدرسة بعشر من الجوارى وفى سنة ١٨٣٦ كن ثلاث عشرة جارية وست مصريات وقد تخرج بعضهن وبقيت أماكنهن فارغة لم

يلحق بها أحـــد حتى اذا كانت سنة ١٨٤٠ نقص عدد التلميذات الى احدى عشرة تلميذة ، فطلب الديوان الى ولى النعم إلحاق اثنتى عشرة تلميذة مصرية بالمدرسة وأذن محمد على بذلك ثم أعيد النظر فى نظم التعليم ولوائحه فى العام التالى وأنقص عـــدد التلاميذ فى جميع المدارس إلا مدرسة الولادة إذ كان حظها خيرا من حظ المدارس كلها بل زيد عـدد تلميذاتها إلى أربعين تلميذة وأحس المصريون بالمدرسة وخريجاتها لأن هؤلاء الخريجات أثبتن كفاية ممتازة وكان مجال العمـل أمامهن واسعا فلم تر الحكومة بدا من توسيع المدرسة بحيث تستقبل ستين تلميذة وهو أقصى ماتتسع له المدرسة فى ذلك الزمان .

* * *

وقد أعدت الحكومة برنامجا واسعا لتعليم الفتيات فى مدرسة الولادة وفى مقدمة هذا البرنامج اللغة العربية لأن الملحقات بالمدرسـة كن جميعاً جاهلات بها لأن التعليم والتثقيف بين الاناث كان مقتصراً على ربات القصور فكانت تلميذات المدرسة تتلقين فى السنة الأولى اللغة العربية حتى يجدنها قراءة وكتابة ، وكانت مواد الدراسة تنتظم ما يأتى : —

١ — مبادىء اللغة العربية بحيث يستطعن تلاوة الدروس التى تعطى لهن تلاوة صحيحة

٢ — فن التوليد نظريا وعمليا

٣ — العناية الصحية بالحوامل والنساء اللاتى فى حالة الوضع والأطفال المولودين حديثا .

٤ — طرق علاج الأمراض السرية .

٥ — مبادىء الجراحة الأولية الكافية لعلاج الأورام الالتهابية وتضميد الجروح البسيطة وعمل الكى ووضع اللزقات وما شابه ذلك .

٦ — طريقة عمل الحجامة وتلقيح الجدرى وأخذ الكاسات الهوائية ووضع الدود .

٧ — العلم بالأدوية الأكثر تداولا فى الاستعمال وتجهيزها .

ونحسب أن هذا البرنامج الذى وضع لمدرسة مصرية منذ مائة عام كفيل اليوم بأن يحقق لنا ما نصبو لتحقيقه فى حياة المرأة المصرية ، فهى تتعلم التطبيب بما يفيد الابن والزوج والزوجة أيضا وهى مواد من شأنها أن تفتق الذهن وتوسع المدارك وتكون الشخصية الى حد ما .

وكانت تلك المدرسة مؤلفة من ثلاث فرق دراسية ، السنة الأولى للقراءة والكتابة والحروف والاسماء والهيكل العظمى ، والسنة الثانية يتعلم فيها التلميذات تشريح الحوض والتوليد والجراحة الصغرى واللغة العربية ، ويدرس تلميذات الفرقة النهائية بتوسع المواد نفسها التى درست للسنة الثانية ، وهذا بجانب التطبيق العملى الذى كن يقمن به كتطعيم

أطفال القاهرة وحضور بعض العمليات الطبية .

وكان معلمو المدرسة من المصريين باشراف كلوت بك أو خليفته بيرون والى جانب هؤلاء الأطباء بعض المصريين وكانت الآنسة جوليت تقوم هى ايضا بالتدريس وخلفتها الآنسة غو فى سنة ١٨٣٦ .على أن شطراً كبيرا من عبء التدريس كان يقع على المعلمات من خريجات مدرسة الولادة وبدأ ذلك منذ عام ١٨٣٩ وكانت المعلمة المصرية اذا عينت فى وظيفة التدريس منحت رتبة الملازم الثانى ومرتبه وكانت لها مساعدة تسمى العميدة إذا رقيت بلغت رتبة معيدة من الدرجة الأولى ثم معلمة من الدرجة الثانية ثم معلمة من الدرجة الأولى .

وكان للمدرسة غير المعلمين والمعلمات « بلاّنة » تمشط رؤوس التلميذات يومين فى الأسبوع أما حياكة الملابس فقلد تركت للتلميذات أنفسهن على أن تعلم الكبيرات الصغيرات منهن .

وكان المرتب المقرر للتلميذة المستجدة عشرة قروش فى الشهر وهو يقابل ما كان يدفع أو يمنح لتلميذ الفرقة الرابعة بالمدرسة التجهيزية ، وتزيد الحكومة هذا المرتب كلما نقلت التلميذة إلى فرقة أعلى حتى إذا وصلت إلى الفرقة النهائية أخذت فى كل شهر خمسة وثلاثين قرشاً وهو يساوى القدر الذى يأخذه زملاؤها من طلبة السنين النهائية بالمدارس الخصوصية الأخرى ، وتمنح المتخرجة فى المدرسة رتبة الملازم الثانى ومرتبها ، والحكومة هنا تؤثر تلميذة الولادة بالعطف دون زملائها فى

المدارس الخصوصية إذ أن هؤلاء الزملاء كانوا يمنحون هذه الرتبة بعد تسع سنوات من التحاقهم بالمدرسة التجهيزية .

ثم ميزتهن الحكومة فى الطعام بما كان يقدم لهن من ألوانه وخاصة الخبز « الخاص » بدلا من الخبز العادى « الجراية » ذلك الخبز الذى كان — كما تقول الحكومه — « سبباً فى هزال التلميذات وضعفهن » .

أما الملابس فقد خصص لكل تلميذة طربوش « من صنع فوة » و سالطة جوخ بقيطان من حرير (يعنى صديرى) وبالوكا شامى . . . وحزام وشنتيان ألاجة شامى ومحسمان بدويرة وقميصان من كتان ولباسان من بفتة ودكتان من كتان وحرير وبابوج إسلام بوللى وخف وطرحة من شاش بلدى قدرها خمسة أذرع وفوطة للحمام وحبرة وسبلة

* * *

وكان أول مجال لخريجات المدرسة العمل فى المستشفى الصغير الذى أنشىء بأبى زعبل ثم وظف بعضهن مدرسات أو معيدات فى المدرسة كما عين البعض الآخر فى المحاجر الصحية بالأسكندرية ودمياط وخصص ثمان منهن لأقسام القاهرة الثمانية ليقمن بالكشف على الموتى من النساء وكان يعين لكل منهن ساع (بالطه جى) وحمار تركبه فى أعمالها كما كان بعضهن يقوم بوظائف التوليد والتطبيب .

وكانت الحكومة تمنح اللاتى أتممن دراستهن بالمدرسة لقب (أفندى) أسوة بزملائهن من سائر المدارس الخصوصية ومن بينها

مدرسة الطب وكان الديوان يحرص على كرامة حكيماته فيعين بصحبة كل منهن فى الأقاليم أحد الأغوات .

ثم رأت الدولة حرصاً على كرامة المدرسة وسمعة خريجاتها تزويجهن ، لأنهن من طائفة النساء ويحتجن إلى الزواج ، فاختارت لهن أزواجاً من زملائهن الأطباء الموظفين فى أقسام القاهرة وقد قررت الحكومة منح الرتبة ومرتبها بعد صدور الأمر العالى بزواج الحكيمة من الطبيب وكانت الحكيمات المتزوجات يمنحن منازل صغيرة مفروشة على نفقة الحكومة وخمسة أكياس من النقود و (تزييرة) و (أوراق عتاقة) للرقيق منهن ، والحكومة حين تفكر فى تزويج الحكيمات من الأطباء إنما تقصد بذلك تكوين أسرة منسجمة الفكر متفقة الرأى وهى تود لو يفيد هذا الانسجام فى زيادة معارفهن العلمية وهى تذكر ذلك فى معرض شكوى قدمتها طبيبة لبعد زوجها عنها والديوان يرى القرب بينهما ضرورة ، لأجل تمارسهم مع بعض فى الدروس والعلوم وحصول ثمرة من ذلك ، وكان ديوان المدارس يتسقط أخبار الأطباء غير المتزوجين فيكتب إلى شورى الأطباء بأن يعد له بياناً بأسماء ، من يكون من حكما أثمان المحروسة عازب ومضبوط (يعنى حسن السير والسلوك) تفيدونا عن أسمائهم وهم بأى ثمن من الأثمان لأجل بورود الإفادة يجرى اللازم ، فديوان المدارس يتحرى عن الأزواج فإذا اطمأن إليهم وإلى أخلاقهم سمح لهم بالزواج من التلميذات أو الحكيمات على أن يؤخذ

على الزوج تعهد بأن يترك زوجته تحصل علومها ، وإذا أخطأ الحظ إحدى خريجات المدرسة ولم يطلب يدها طبيب فعلى شورى الأطباء أن يجتهد فى « طريقة لزواجها » .

وهكذا كان نصيب محمد على فى تاريخ النهضة النسائية فى مصر وهو نصيب الخالق المبدع ، أنشئت فى عصره أول مدرسة للبنات وآخر مدرسة أيضا ولكنها المدرسة الوحيدة التى جاءت فى أعقاب أجيال من الجهل والحرمان لا للنساء فحسب بل للرجال أيضاً ، مدرسة خلقت فى البيئة المصرية الاجتماعية فئة من النساء كان المفروض أن يكون التشرد وظيفتهن والفساد ملجأهن والضعة نصيبهن فى الحياة فإذا به ينتزع هذه الفئة المشردة إلى بيت فيه علم وهدى ويبدل اضطرابهن أمناً وجهلهن علماً ، وضعفهن قوة ويعودهن على حياة الاستقرار ويضرب بعيشهن الرغيد مثلا على قوة العلم وفضل العلم لمن يحب العلم ويمضى فيه .

ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث يسجل لمحمد على أنه وظف الفتيات والسيدات المتعلمات فى خدمة اجتماعية جليلة الشأن بعيدة الأثر خدمة قائمة على العلم الصحيح والخلق القويم مهما يكن عددهن قليلا ومهما يكن أثرهن ضئيلا فإنها بذرة أثمرت ومضت على الايام عنواناً على أن المصرية تفيد إذا تعلمت وتنتج إذا أنهضت وتبلغ المدى إذا هيئت لها الظروف والملابسات .

وسوف يذكر التاريخ لمحمد على أنه رجل يريد أن يخلق من الأسر

المتداعية أسرات تقوم على العلم والحب ، العلم بتزوج حكيماته من زملاء لهن والحب بجمع الزوجين ليسعدا فى مكان قريب كما يسعدان الناس بكفاحهما فى هذا الميدان الاجتماعى الرفيع .

وسوف يذكر التاريخ أن محمداً علياً قد تحدى جيله المتزمت بانشاء هذه المدرسة هذا الجيل الذى كان يهرب فيه الذكور من العلم ويعتبر ظهور المرأة فى الشارع فضيحة من الفضائح فأراد هو أن يتحدى هذ الجيل ويطفر بهذا المجتمع فأنشأ مدرسة للبنات هى أخطر مدارس البنات ، فإنهن لا يتعلمن قواعد الحساب فحسب بل يتعلمن علماً يتصل بالتكوين الجثمانى وهو علم لا يهضم الجيل أن يتعلمه البنات وإن أعجب بنتائج هذا العلم على أيدى أولئك الفتات .

وسوف يذكر التاريخ أن محمداً علياً علم فئة من البنات كيف تقرأ وتكتب وكيف تطب لحياة الناس وكيف تحمل عنهم فى معيشتهم الخشنة آلامهم ومتاعبهم وتزودهم بالنصح والإرشاد وتقنعهم أن فى العلم رحمة وأن المرأة المتعلمة فضل من الله عظيم .

الفصل الثالث

النهضة النسائية

فى عهد الخديو اسماعيل

كان أظهر نشاط أبداه محمد على الكبير نحو النهضة النسائية فى مصر هو فى رعايته الواسعة لمدرسة الحكيمات ، وليس معنى هذا أنه لم يكن هناك نشاط نسوى آخر شهدته مصر فى عهده فقد أنشئت فى أيامه مدارس للأقباط واليهود والأرمن واليونانيين والايطاليين وغير ذلك من مدارس الارساليات الدينية وقد كان فى بعض هذا المدارس أقسام لتعليم البنات جلهن من القبطيات والقليل النادر منهن من المسلمات ، وقد ساعدت حكومة محمد على تلك المدارس بالتشجيع المادى والأدبى .

وقد عرف محمد على شخصيا قدر تعليم البنت فوظف بعض المدرسات الأجنبيات بجانب بعض المدرسين من المشايخ بتعليم الحريم فى قصوره وقصور ابنه ابراهيم باشا وكانت هذه البدعة ، بدعة تعليم بنات ولى النعم وقرباته موضعا للتقليد من البيوتات الكبيرة المعاصرة فى مصر التى تأثرت رأس الحكومة فى اتجاهاته الجديدة .

لم يبد بعد وفاة محمد على أى اتجاه جديد نحو تعليم البنت والنهوض بالمرأة ذلك أن الوالى عباسا الأول كان خصيما لكل نهضة ولاها جده عطفه وتأييده فلم يكن من المنتظر أن تفتح فى عهده مدرسة للبنات وهو يغلق فى كل يوم مدرسة للبنين ، وكذلك كان الحال فى أيام سعيد وإن كان سعيد أوسع صدراً فى النظر الى الشئون العامة من سلفه عباس ، ومهما يكن من شىء فان مدرسة الحكيمات وحدها بقيت فى عهديهما بين الخفض والرفع والتقدم والتقهقر ، سائرة على نهج العصر يرونها خيرا مرة وشرا مرة أخرى إلى أن أقبل عصر الخديو اسماعيل .

والخديو اسماعيل يعتبر فى ذمة المؤرخ المنصف الشخصية الثانية العاملة فى بناء مصر الحديثة ، وليس يعنينا هنا ما ذهب اليه المؤرخون وهم يتحدثون عن اسرافه انما الذى يعنينا أن اسماعيل كان ضرورة لمصر ليطفر بها من الخمول واليأس إلى النضوج والاستواء فى كثير من نواحى الحياة وفى مقدمتها العلم والتعليم .

رقت الحياة فى عهد اسماعيل فشهدت قصوره حياة اجتماعية لم تعرف فى مصر الحديثة ، شهدت قصوره الحفلات الراقصة وشهد عصره أذواق الملابس الجديدة حتى ألوان الطعام تنوعت ودخل فيها جديد ، وقد حدثتنا الوثائق المكتشفة أخيرا أنه اشترك لزوجاته وسيدات أسرته فى سبع مجلات « للموضة » فكانت نماذج الأذياء فى مصر والشرق العربى تخرج من قصوره ، وهذه العناية بشئون النساء وان كانت خاصة

الا أن وراءها قلبا كبيرا يعرف للمرأة حقها ونوايا طيبة بدا أثرها فى خلال عصره الزاهر .

لم يمض على حكم اسماعيل أربع سنوات حتى كان التفكير فى تعليم البنت أصلا من أصول التربية فى مصر إذ تكونت فى ٢١ مارس سنة ١٨٦٧ لجنة كلها من المصريين ورئيسها مرشير بك ناظر المدارس الحربية للنظر فى شأن مدارس جديدة للبنات ، ويذكر لنا شحاته عيسى مقرر اللجنة أنه قد تقرر انشاء مدرسة تتسع لخمسمائة فتاة على أن تفتح صدرها لمائة فتاة كل سنة .

غير أن هذا المشروع الذى قررته اللجنة الحكومية المصرية لم ينفذ وبقى معطلا مدى عامين وأحس الخديو هذا الاهمال الشنيع نحو تعليم الفتيات المصريات فبحث عن أسباب التعطيل فتبين له أن بعضها يتصل بعجز مادى ملحوظ يحول دون اتمام المشروع فأمر ببناء المدرسه بعد أن اختير لها مكان معلوم على أن تكون نفقات البناء من جيبه الخاص ، ورأى الخديو أن ينسحب هو من هذا المضمار ويترك أمور تعليم المرأة المصرية لزوجاته فتقدمت الأميرة جشمة آفت هانم افندى الزوجة الثالثة للخديو اسماعيل الى هذا الميدان ، وكانت فى تاريخ الحركة النسائية أول سيدة مصرية تقدر لبنات جنسها مكانهن من الحياة وهى لا ترعى المشروع النسائى الجديد رعاية أدبية فقط بل وظفت مالها فى سبيل تعليم البنات المصريات فدفعت مبلغا كبيرا لشراء قصر قديم فى السيوفية

وأمرت باصلاحه وتحويله الى مدرسة للبنات تضم مائتى تلميذة للقسم الداخلى ومائة أخرى فى القسم الخارجى ، وكادت الأميرة المصرية تصدم فى حماستها إذ تردد المصريون فى ارسال بناتهم للعلم ولكنها بنفوذها وشخصيتها الجذابة استطاعت أن تنتزع من الآباء موافقتهم على تعليم بناتهم وتم لها ما أرادت وافتتحت المدرسة فى أول يناير سنة ١٨٧٣

لم يمض وقت طويل على افتتاح مدرسة السيوفية حتى اشتد إقبال التلميذات عليها الأمر الذى لفت المسئولين الى أن ضرورة الحياة الاجتماعية تقتضى التفكير فى مدارس أخرى للبنات وأن لم يقدم هؤلاء المسئولين على فتح المدارس الجديدة توا فبقيت مدرسة السيوفية وحدها تؤدى رسالتها فى مصر ، وكان الغرض من المدرسة أن تقدم لتلميذاتها مزاجا من التعليم الابتدائى والتعليم المهنى يمكنهن من افادة اسراتهن وبلادهن وكسب عيشهن بطريق حلال اذا دعت الحاجة الى ذلك

وتعتبر مدرسة السيوفية مدرسة تجهيزية تغذى مدرسة الولادة فى قصر العينى بتلميذاتها المتخرجات فيها ، وكانت المدرسة تتكون من خمس فرق كل فرقة تقتضى سنة للتعليم وكانت مواد الدراسة هى الدين واللغتان العربية والتركية والتاريخ المصرى وجغرافية مصر خاصة والدنيا عامة والحساب ومبادىء فى المحاسبة المنزلية وقسط طيب من التاريخ الطبيعى ودراسة النواحى الطبيعيه وتطبيقها فى الحياة اليومية ثم تعلم الرسم والاشغال والتدبير المنزلى ، وأحس المسئولون أن مواد الدراسة فى

حاجة إلى تكملة فاضيف تدريس اللغة الفرنسية وبعض دروس فى البيانو

وكانت تدير المدرسة ناظرة وساعدها فى المسائل الإدارية ناظر منتدب لها كما وظفت مشرفة (ضابطة) على النظام وعدد آخر من المشرفات (القلفوات) وعين للمدرسة طبيب خاص وعدد من الحكيمات وقد بلغ من حرص الديوان على فتياته وسمعتهن أن أبى على طبيب المدرسة أن يدخل اليها دون حضور الناظرة ومرافقته فى أداء واجبه ، وفى ذلك كتب الديوان إلى الطبيب يقول « وبخلاف ذلك تعلموا أنكم ليسوا مأذونين باقامة وقت داخل المدرسة دقيقة واحدة » بدون وجود الناظرة ورقابتها طبعاً .

كانت أعمار تلميذات المدرسة تتراوح بين سبع سنوات وإحدى عشرة سنة وكان لا يقبل من التلميذات إلا من أجرى عليهن فحص طبى دقيق جداً يثبت انتظام جسمها وخلوها من الأمراض وكان يراعى فى اختيار التلميذات أن يثبت للمدرسة بدليل قاطع لا يقبل الشك أنهن على خلق كريم ، وكن يتعلمن بالمجان كما كانت الداخليات منهن يقضين فى بيوتهن يومى الخميس والجمعة مرة كل أسبوعين ، وتقوم التلميذات الداخليات بجميع الاعمال المتصلة بنظافة المدرسة من كنس وترتيب للاسرة وغسيل للملابس والأوعية وطهى وجبات الطعام أما التلميذات الخارجيات فكن يتعلمن أيضا بالمجان ويتناولن وجبة الغذاء ويكسون على نفقة الدولة وكانت هناك ألوان من العقوبات توقع على التلميذة التى

تسىء فى عملها أو تشذ فى أخلاقها فيما خلا العقوبات البدنية أو السب فان ذلك كان محظورا على الناظرة والمدرسات ، وقدكلف تعليم هؤلاء البنات فى أول عام افتتحت فيه المدرسة أكثر من تسعة آلاف وثلاث مائة وسبعة جنيهات .

أحدثت عناية جشمة آفت هانم أفندى بشئون المرأة لوناً من ألوان المنافسة الطيبة فى سبيل إنهاض المرأة المصريه فقد فكر الخديو اسماعيل فى إنشاء مدرسة أخرى فى سنة ١٨٧٣ ولكنه انسحب للمرة الثانية من هذا الميدان لزوجته الثانية الأميرة « أورطنجة هانم افندى » فدفعت من مالها الخاص قدراً طيباً لإنشاء مدرسة فى القربية ولم يتحدثنا التاريخ بشىء عن هذه المدرسة مفصلا أو مجزءاً .

وفى نفس تلك السنة أنشأ ديوان الأوقاف مدرسة أخرى بالقربية لمائة من التلميذات الداخليات وخمسين من التلميذات الخارجيات وكان الغرض من إنشاء هذه المدرسة إعداد التلميذات للخدمة المنزلية وهى أول مدرسة من نوعها فى مصر الحديثة غير أن هذه المدرسة التى أنشأها ديوان الأوقاف لم تعش طويلا فضمت تلميذاتها إلى مدرسة السيوفية بيد أن الخديو وهو الحريص على انتشار مدارس البنات عزّ عليه إغلاق تلك المدرسة فأمر باعادة افتتاحها على أساس جديد ولكن مستوى الدراسة بعد فتحها ظل أقل من مستوى مدرسة السيوفية

لم يقف نشاط الخديو اسماعيل عند هذا الحد سواء كان هذا النشاط مباشراً بذاته أو عن طريق زوجاته فقد فكر فى أن تكون لكل مدينة كبيرة مدرسة للبنات وبدأ برسم سياسة تعليمية نسوية على هذا الأساس وفكر فى مدينتى المنصورة والقاهرة على أن تكون مدرسة المنصورة على غرار مدرسة السيوفية أما مدرسة القاهرة الجديدة فقد اتجه بها حين فكر فيها إلى أن تتخصص لتعليم بنات الأسر الراقية وسميت لذلك بمدرسة بنات الأشراف إلا أن هذا المشروع الضخم لم يواته الحظ فبقى مشروعا فحسب لأن اسماعيل عزل عن ملكه واضطربت الحالة المالية فى مصر ففقدت المدرسة القديمة رونقها وخسرت بعد عزله عطف ورعاية زوجتيه وانحط مستوى التعليم فيها ونظر إليها ديوان المدارس نظرة ضئيلة فاعتبرها مدرسة خيريه ينفق عليها من إحسانات الأوقاف وإن لم يستمر هذا الهوان بها طويلا فإن نظارة المعارف عادت فتسلمتها سنة ١٨٨٩ وسميت منذ ذلك الوقت المدرسة السنية .

ونحن حين نذكر هذه الحقائق فى معرض التأريخ للنهضة النسائية فى مصر يجب ألا يفوتنا أن نقرر أن الخديو اسماعيل كان أوسع صدراً من محمد على ، فمحمد على ينشىء مدرسة للبنات إلا أنه مع هذه الرغبة الشريفة التى أوحت بانشاء هذه المدرسة يقصد من ورائها جزاء هو إعداد حكيمات فحسب ، وصحيح أن هذا الجزاء سيعود بالخير على

المصريات إلا أن الوالى الكبير كان من طبعه ألا يصنع شيئاً إلا ويطلب له نتيجة عاجلة ، أما إسماعيل فهو يفكر فى مدارس للبنات واسعة الآفاق يريد بها نهضة للمرأة تساير النهضة التى دبت فى أوصال الحياة المصرية جميعاً ، هو يريد نهضة للبنت ثم لبيتها وأسرتها ومجتمعها لذلك تعددت مشروعاته فى هذا الباب أما محمد على فقد اقتصر على مدرسة واحدة ولم يفكر فى ثانية ، وصحيح أيضاً أن محمداً علياً عطف على المدارس غير الإسلامية وكذلك كان شأن اسماعيل إلا أن عطف اسماعيل على تلك المدارس كان عطفاً شاملا ظاهراً فيه نوع من الثورة على القديم ومحمد على كان عطفه فى لون من المحايلة والمداورة

ومحمد على يعلم زوجاته وبناته وقريباته على أيدى مدرسات فرنجيات وكأنه يختلس من الدهر فرصة لنساء أسرته يوسع بها أذهانهن ، أما اسماعيل فيسفر فى ذلك غير متهيب ولا وجل ويوظف زوجاته فى رعاية النهضة التعليمية النسائية ويوحى إليهن أن يدفعن من أموالهن تزكية للنهضة النسائية الجديدة ولا يقتصر على هذا المظهر المادى البحت بل يسمح لهن بحضور حفلات تلك المدارس ويأذن للوقائع المصرية صحيفته الرسمية بنشر تفاصيل تلك الحفلات وهو يضرب بتلك التقاليد القديمة عرض الحائط .

ومحمد على ينشىء مدرسة تكثر خريجاتها عاما بعد عام ولا نجد من بين تلك الخريجات صاحبة أثر بارز فى علم أو فن بل لعله اقتصر فا كتفى

بأن تكون بين المصريات مجموعة من البنات المتعلمات المتخصصات فى ناحية من نواحى العلم على ألا تتعدى وظيفتها بمظهر يثير عليه الأزهريين أو غير الأزهريين من المتزمتين فى شئون الدنيا والدين أما اسماعيل فيعنيه أن تقرأ المجموعة القارئة فى مصر وصف حفلات مدارس البنات وينشر أسماء المجتهدات المتقدمات بل يعنيه أن يرى فى الصدارة بعض النساء المثقفات يعطين من علمهن ما يفيد ويثبت أن المصرية إذا تعلمت أجادت وأفادت فقرأنا فى صحف اسماعيل مقالات شتى لبعض السيدات المصريات من الباكورات الصالحات كجليلة تمرهان التى كانت لها فصول طوال فى مجلة يعسوب الطب وهى فصول تدل على الفهم والعمق وتبين عن عقل ناضج وادراك سليم .

وإنا نستطيع فى غير تردد أن نقول إن الخديو اسماعيل بهذه اللفتات قد كتب لنفسه فى تاريخ النهضة النسائية فصلا من أروع فصولها فهو لم يقتصر على فتح بعض المدارس بل أمر بأن تكون أغلبية التلميذات فى القسم الداخلى وقلل من اختلاطهن بأسراتهن وهو يوحى بذلك أن تكون التنشئة التى ينشأن عليها جديدة لا أثر للبيئة القديمة فيها ، وخطا خطوة أخرى أخطر كثيرا على العرف والتقاليد من المدرسة نفسها ذلك أنه أمر باعفاء فتيات تلك المدارس من لبس الحجاب ، وما نشك فى خطورة ذلك الأمر وخاصة إذا وزنا عقلية الجماهير فى عصر اسماعيل وهى عقلية خليط من الجهل والفقر الذهنى ، عقلية تظلم الدين أشنع الظلم

لأن الدين من دعايتها براء وهي تكلف هذا الدين السمح فوق ما يحتمل من ألوان التزمت التى يعيشون على صداها ويأكلون إلى الآن من ذكرياتها ، وليس يعنينا أن هذه الخطوة قد فشلت ولكن إلى حين

* * *

ويتميز عصر اسماعيل بأن النهضة النسائية لم تأت من فوق إن صح التعبير أى لم تكن من اسماعيل وزوجاته فحسب بل رأى وجوبها بعض ذوى الرأى من المصريين وفى مقدمتهم رفاعة رافع الطهطاوى ، ورفاعة رافع هذا فلاح أصيل يمثل المصرى القح نشأ فى قرية من قرى الصعيد ثم درس فى الأزهر بعض الوقت واختير إماماً لبعثة أرسلها محمد على الكبير إلى باريس فنشط هذا الإمام إلى العلم وأوغل فيه ودرس حياة الفرنسيين بقوة ملاحظته وسجل هذا فى كتاب سماه (تخليص الإبريز فى رحلة باريز) ويبين لنا هذا الكتاب أن صاحبه خلق من جديد فى الفترة التى قضاها فى فرنسا يأنس إلى علمائها ويأنسون اليه فإذا عاد إلى القاهرة أشرف على حركة الترجمة وعين رئيساً لتحرير الوقائع المصرية وكتب المقالات وألف الكتب وترجم القوانين وعين ناظراً لمدرسة الألسن فإذا جاء عصر اسماعيل أضاف إلى نشاطه العلمى تحرير مجلة أدبية للمعلمين والتلاميذ سماها روضة المدارس .

وأهم ما يعنينا هنا فى الطهطاوى وكتبه كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » وهو كتاب فيه دراسات مختلفة فى التاريخ والأدب والسياسة

وفيه آراء عن تعليم البنت وحقوق المرأة كتبت للطهطاوى الصفحة الأولى فى كتاب أصدقاء ومناصرى النهضة النسائية فى مصر فهو يذكر لنا أن الله « خلق المرأة للرجل ليبلغ كل منهما الآخر أمله ويقتسم معه عمله . . . . . هى مثله سواء بسواء أعضاؤها كأعضائه وحاجتها كحاجته وحواسها الظاهرة والباطنة كحواسه وصفاتها كصفاته حتى كادت أن تنتظم الأنثى فى سلك الرجال » ثم يقول فى موضع آخر « ومما يوجد فى الأنثى قوة الصفات العقلية وحدة الاحساس والادراك على وجه قوى قويم »

فاذا فرغ الطهطاوى من هذا الحديث العام وكله تزكية للمرأة وعقليتها ونفسيتها حدثنا فى فصل طويل عن تعليمها فيقول « فان هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها وليمكن للمرأة عند اقتضاء الضرورة أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال . . . . . فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء »

ويمضى الطهطاوى يذيع هذه الآراء القوية فى تعليم المرأة وتربيتها

بل يذهب إلى ما نذهب إليه نحن اليوم من حق المرأة فى العمل كالرجال تماما ، وهو لا يذيع هذه الآراء فى كتاب بل يأذن بنشرها فى مجلة روضة المدارس وهى صحيفة يقرؤها الجيل الجديد فى تلامذة المدارس والجيل القديم فى أساتذة تلك المدارس وعلماء وأدباء ذلك العصر ويطلع عليها الجامدون المتزمتون من أنصار التقاليد فهو يذكر لهم أن البنت المتعلمة إذا تزوجت ، لا يصح أنها لا تحسن العشرة معه أو لا تكون له أمينة ومثل ذلك سائر البنات فإن تعليمهن فى نفس الوقت عبارة عن تنوير عقولهن بمصباح المعارف المرشد لهن فلا شك أن حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالأخلاق الحميدة والاطلاع على المعارف المفيدة هو أجمل صفات الكمال وهو أشوق للرجال المتربيين من الجمال . . . وأيضا آداب المرأة ومعارفها تؤثر كثيراً فى أولادها ، ثم يمضى الكاتب العظيم يضرب المثل تلو المثل فى تصوير الآثار الطيبة التى تحدث نتيجة لتعليم البنت مقارنا الجاهلة بالمتعلمة ناقلا ما كان يراه النبى (ص) فى هذا الشأن وما دعا اليه الإسلام فى هذا الباب .

نحن لا نريد أن نحمل كلام الطهطاوى فوق ما يحتمل وإنما نحن نقدم هذا المثل لنؤرخ لشخصية وظفت بعض جهدها فى خدمة مواطنيها بعد أن رأت ووعت وقدرت أن تعليم البنت ضرورة لكل شعب متمدين ، ولم يناقش الطهطاوى فى عنف خصومه فى هذا الرأى بل عرض رأيه مجرد عرض أثار من غير شك حفيظة الرجعيين من رجال

وأنصار التقاليد ولم يناقش الطهطاوى حقوق المرأة الأخرى وهى حقوق ناقشها غيره فيما بعد ولم يجادل فى المسائل الشائكة كتعدد الزوجات والحكمة فى ذلك وأنها ليست ضرورة بل هى شىء مقبح ولكنه أورد فى ذلك أبياتاً من الشعر اللطيف تصور رأيه فى هذه الناحية الشائكة وإن لم تكن الأبيات له : —

تزوجت اثنتين لفرط جهلى وقد حاز البلا زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا ينعم بين أكرم نعجتين
فجاء الحال عكس الحال دوما عذاباً دائماً ببليتين

وما نحسب سرد هذه الأبيات فى تضاعيف ما كتب إلا سخرية لاذعة بأصحاب الدعوة إلى زواج الأربع ، وحسبه هذا القدر من الكفاح فى سبيل المرأة ونهضتها فإنه قال شيئاً وعلم جيله هذا الشىء حتى وجد من بين الجيل الجديد الذى تلقى تعاليمه عن الطهطاوى من ساهم مساهمة الأصيل فى النهضة النسائية المصرية .

الفصل الرابع

أنصار المرأة المصرية

١ – قاسم أمين

أوشكت الثورة التى ساهم فيها الخديو وزوجتاه أن تخمد أو تنتهى إلى غير عودة فان حركة تعليم البنت التى لفتت الأذهان فى أيامه وكانت درة من درر عصره قد أصابها ما أصاب كثيرا من نشاط اسماعيل إذ تحكمت الأزمة المالية وأثرت على الحركة الثقافية جميعا فصحافته الرسمية أغلقت كلها فيما عدا الوقائع ومدارسه التى نشرت العلم وبدأت تقيم الحياة المصرية على الرأى الحكيم والفكر السليم قدعجزت مالية الدولة عن اتمام رسالتها الرفيعة فغلق بعضها وهان البعض الآخر

ثم أقبل عهد العرابيين واضطربت مصر اضطرابا عظيما فى جميع نواحى الحياة ، وشغل المصريين التفكير فى نظام دستورى صحيح لو قدر له النجاح لعاد التفكير فى أمر المرأة من جديد ولكن فى صورة واسعة وعلى أسس جديدة تناسب اضطراب الأفكار الذى ساد البيئة المصرية والذى كان يتجه بها إلى كل جديد ، ثم تأزمت الأمور بين مصر

وأوروبا وانتهى هذا الاضطراب بالخاتمة المؤلمة وهى احتلال مصر فى سبتمبر سنة ١٨٨٢

ومضت حياة المصريين فترة من الزمن رتيبة لا حياة فيها ، وشغل المصريون بأمر معاشهم وانصرفوا زمنا عن المثل العليا التى هزت عواطفهم قبل الاحتلال حتى وجد فى بيئة الوطنيين بعض الزعماء الذين أخذوا يستردون فى المصريين حماستهم لاستقلالهم ، واستغرق هذا كل جهودهم ، ومن الغريب أن من بعض الأصول التى دعا الزعماء فيها إلى الاستقلال العلم والتعليم بل أن الحزب الوطنى جعل من التعليم علما يستظل به المصريون للكفاح ضد الاحتلال ، غير أن هذا العلم كان وقفا على الذكور وحدهم ، واتجه اللواء صحيفة الحزب الوطنى اتجاها لا يتفق فيه معه أنصار المرأة الذين يحبون لها التصرف فى الشئون تصرف الرجال أو يعتدلون فيرجون لها بعض الحقوق التى أبنها اللواء فى مقالاتها الاجتماعية بين آن وآن وأظهر هذه المقالات الرجعية صحيفة نشرها الأستاذ محمود سلامة الأديب المعروف ، وفيها يدعو الى الحجاب الثقيل ويعيب على جيله نشاطه فى خصومة الحجاب وتجاوزه إلى حرية يراها مسيئة إلى حياة الأمم والشعوب .

وكان ذلك فى مطلع القرن العشرين بل فى الشهور الثلاثة الأولى من سنة ١٩٠٠ على وجه التحديد ، ومصدر هذه الحملة أنه وجد فى بيئة المصريين بعض الهمسات هنا وهناك عن المرأة المصرية ووجوب العناية

بأمر تثقيفها وحرياتها وكأن الأستاذ سلامه وجد فى جريدة الوطنيين خير سلاح يكتب به هذا الاتجاه ويرهب به المتقدمين إلى هذا الميدان .

ويشاء القدر أن يهىء للمرأة أنصارا من خاصة المصريين المثقفين العالمين بقدر المرأة الحرة المتعلمة ، وفى مقدمة هؤلاء قاسم أمين وسعد زغلول ، ونحن نرى فى سعد زغلول نصيرا للمرأة لأنه أولا قبل أن يهدى اليه قاسم أمين كتابه « المرأة الجديدة » وفى هذا موافقة ضمنية على ما جاء فى هذا الكتاب ، وهو ثانيا زوج صالح وجد فيه قاسم أمين وفى زوجه مثالا قيما بالرواية والتسجيل وهو ثالثا قد سمح لزوجه أن تقاسمه السراء والضراء على السواء كما يعرف المصريون فى ثورتهم سنة ١٩١٩ وما بعدها من السنوات العجاف ، وهو فى أضعف الايمان لم يخاصم المرأة فى صورة من الصور وكان فى مقدوره أن يعطل نهضتها ردحا من الزمن لو شاء أن يجارى المتزمتين والرجعيين

أما قاسم أمين فصاحب رسالة إذ أنه تناول بالبحث مشكلة تحرير المرأة من الناحية الاجتماعية خاصة فدافع عن قضيتها دفاعا صادقا فى كتابين ألفهما لهذا الغرض فى أوائل القرن العشرين أحدهما بعنوان « تحرير المرأة » والآخر « المرأة الجديدة »

وكانت مسألة تحرير المرأة تثير اهتمام المفكرين من ذوى الرأى الثاقب وخاصة رجال القانون منهم إذ كانوا بحكم وظيفتهم يشهدون كل يوم حوادث طلاق لا مبرر لها ويواجهون حالات شتى تستهدف فيها

المرأة لسوء المعاملة والاضطهاد فكانوا خير من يدرك ما يؤدى اليه جهل المرأة من القنوط واليأس .

وقد كان قاسم أمين من رجال القانون الممتازين فرفع صوته عاليا بشجاعة وإقدام مطالبا بما للمرأة من الحقوق التى خصها بها الدين وهى لا تزال تجهلها والدين لم يكن مسئولا عما كانت فيه من انحطاط بسبب الجهل وعادات المجتمع .

وقد تعمق فى بحث أسباب جهل المرأة فى كتابه وتساءل عن الوسيلة التى تؤدى إلى اصلاح الحال ثم وضع المبادىء الرئيسية لمشروع اتبعه من بعده المصلحون من أنصار تحرير المرأة . وكان رأيه أن حالة الجهل هذه تقع تبعتها على الرجال أولا لأنه كان يتعين عليهم العمل بالشرع الاسلامى فيما يختص بالمرأة وهو من حيث وضعه وجوهره يراعى مصلحتها . ولكن التحيز فى التفسير والتأويل وصل بها إلى ما وصلت اليه من جهل وانحطاط كما أن تطبيقه على وجه خاص هو الذى أقعدها أجيالا طويله فى دوائر الحريم ، فلما أثيرت مسأله تحريرة المرأة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت النساء المصريات من غير ثقافة لا يستطعن التفريق بين الواجبات والحقوق وكن يخضعن للرجال خضوعهن للقدر المحتوم .

وكن بسبب هذا الجهل يحيين حياة مجردة من كل مزية بعيدة عن هدف لا ينظرن إلى أن لهن حقاً فى الحياة الحرة المطلقة من كل قيد

إذ كن غافلات عما لهن من الحقوق لا يفكرن فى المطالبة بها ولا يدركن كيف يؤدين الواجبات .

وفى أوائل القرن العشرين أخذت المرأة المصرية تظهر رغبة قوية فى التحرر من قيودها والخروج من الحريم ولكنها لم تهتد إلى الوسيلة المؤدية إلى ذلك الهدف وكانت فى هذه الحالة تخضع لأهواء الرجل خضوعها للضرورة .

وقد لاحظ قاسم أمين هذه الحالة فوضع كتابه « تحرير المرأة » مسترشداً بالمظالم العديدة التى كانت تستهدف لها النساء وكان يقف عليها بحكم منصبه فى القضاء . وقد أثار هذا الكتاب على أثر صدوره حملة شعواء رد عليها بكتاب آخر عنوانه « المرأة الجديدة » .

وقد بسط فى كلا الكتابين ضرورة تحرير المرأة ومايجب القيام به من وجوه الاصلاح فى هذا السبيل وما ينبغى إجراؤه لتيسير هذا الإصلاح وتحقيقه مادام حقا وليس فيه شىء من التعرض للتعاليم الدينية كما أن الرغبة فى تحرير المرأة المصرية تتخذ مظهراً اجتماعيا محضا . وبدهى انه ما دامت أسباب حرية المرأة لا تتعدى المطلب الاجتماعى فإن الوسيلة الصالحة لإزالة هذه الأسباب تتخذ طابعا اجتماعيا أيضا .

وقام قاسم أمين فى كتاب « تحرير المرأة » بتحليل التعاليم الدينية فأبان أن الدين ليس مسؤولا مطلقا عن جهل المرأة الذى كثيراً ما ينسب اليه ، وقد لاحظ كما لاحظ الشيخ محمد عبده قبله أن روح القرآن

الكريم لاينا هض المرأة بل يرفع من شأنها . أما إذا كانت هناك أمور يقبلها الإسلام كتعدد الزوجات مثلا ولا تتفق ومطالب المرأة الحالية فإننا نجد تفسير ذلك فيما أسلفنا ذكره من الاسباب التاريخية والاجتماعية ونحن نعترف بأن هذه الامور عند ما كانت سائدة فى الماضى يعمل بها بانتظام كانت تتفق والحالة الاجتماعية فى ذلك العهد .

ففكرة قاسم أمين لم تكن جديدة ولكنه صاغها فى قالب ينم عن روح الصدق والإخلاص وجعل لها أهمية بعيدة المدى ، وكانت الفكرة جلية واضحة يمكن تلخيصها فى ان تعاليم الدين الإسلامى لا تؤدى إلى انحطاط المرأة بل هى بعكس ذلك تجعلها فى مركز ممتاز إذا أخلص المفسرون تفسيرها .

وبعد أن قام الكاتب الكبير بايضاح الأمر على الوجه المتقدم اخذ يبسط اسباب انحطاط المرأة فى آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، فالرجل الذى عهد إليه منذ صدر الإسلام فى تفسير المبادىء الدينية عند ما كان الأمر يتعلق بحماية المرأة لم يكن موقفه يخلو من التحيز وكان ينصرف اكثر اهتمامه إلى مصالحه الخاصة .

ولما كان تطبيق القوانين تطبيقا خاطئا قد استمر اجيالا طوالا فقد هضمت حقوق المرأة مع مرور الزمن وأصبحت النساء أنفسهن يجهلن ان لهذه الحقوق وجوداً . ولاشك فى ان استمرار هذه الحالة اجيالا عديدة متوالية جعل المراة مطيعة خاضعة تعتقد ان هذا هو مصيرها الطبيعى .

ولقاسم امين فضل عظيم فى أنه حاول ان ينبهها الى حقيقة الامر وان يجعلها تدرك قيمتها ومصيرها وهو لم يكن يجد من الأسباب ما يحول دون رفع المرأة إلى مستوى الرجل من الناحيتين الفكرية والمعنوية .

وعند ما نشر كتابه الأول لم يكن للمرأة المصرية دور يذكر فى المجتمع إلا فى بعض الحالات الاستثنائية وكان يندر ان نجد نساء مثقفات يستطعن أن يقمن بالواجب كزوجات وأمهات ، أما المرأة الفقيرة فكانت تحيا حياة العصور الاولى واما الغنية فكانت توجه اهتمامها إلى أمور تافهة إن لم تكن تقضى وقتها فى جو من الملل والضجر

وقد نوه قاسم أمين بأنه يجب أن تحصل المرأة على قسط أساسى من المعلومات العامة كى تقوم بمهمتها قياما مرضيا ، ولم يكن هذا الشرط إذ ذاك متوفرا فى المرأة المصرية فقارن بين مستواها ومستوى المرأة الغربية فى ذلك العهد نفسه مبينا ما يصيب المرأة من الضرر العظيم ما دامت مفتقرة إلى التربية والتعليم ، إذ أن التعليم وحده يجعلها قادرة على تنظيم بيتها وميزانيتها وتربية أولادها . . . . وما إلى ذلك .

ثم أنه لابد لها من العلم كى يسود الوفاق والوئام بينها وبين الرجل فالرجل المثقف لا يمكن أن يشعر بسعادة صحيحة إلا مع امرأة يرتفع مستوى ثقافتها إلى مستوى قريب من مستواه ، ولذلك صرح قاسم أمين بأنه يجب رفع شأن المرأة بإعطائها قسطا من الثقافة لا يقل عن التعليم الأولى وهو أقل ما يرجوه منصف للمرأة المصرية منذ نصف قرن .

وكان يرى أن فى الإمكان اصلاح الأمر والنهوض مهما يكن الأثر الذى تركته فيهن الأجيال من الجمود الفكرى والاجتماعى وهو لا يعتقد أن المرأة أقل استعدادا للعلم من الرجل ، ونوه بما للتعليم النسائى من الأهمية فيما يتعلمنه لتربية الأولاد وبالدور العظيم الذى تقوم به الوراثة فى هذا الشأن ، وأشار إلى تأثير الأم فى تربية الأطفال الذين يميلون دائما إلى التقليد ويجب أن تعطيهم الأم خير الأمثلة وهو مالا تستطيعه إذا كان ينقصها العلم .

ثم تناول قاسم أمين بالبحث مسألة الحجاب فذكر أنها مسألة اجتماعية بحتة يمكن حلها دون تعرض للتعاليم الدينية بشىء وكتب فى هذا الشأن يقول :—

« لو لم يكن فى الحجاب عيب الا أنه مناف للحرية الانسانية وانه ضار بالمرأة إلى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التى خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية فجعلها فى حكم القاصر لا تستطيع أن تباشر عملا ما بنفسها مع أن الشرع يعترف لها فى تدبير شؤونها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها سجينة مع أن القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبره للرجل ، لو لم يكن للحجاب الا هذا العيب لكفى وحده فى مقته وفى أن ينفر منه كل طبع غرز فيه الميل إلى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية ولكن الضرر الأعظم للحجاب فوق جميع ماسبق هو أنه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها »

فالحجاب يعود أصله إذن إلى التقاليد الاجتماعية لا إلى الدين وما دام الأمر كذلك فالإصلاح الذى يقترحه قاسم أمين ينبغى أن يكون اجتماعياً بحتاً ، وقد تبين للمرأة المصرية فعلا أنها تستطيع أن تنزع الحجاب دون مخالفة للدين .

وذهب قاسم أمين إلى حد أنه وجد فى الدين نفسه أساساً للإصلاح المنشود ذلك أن إدراك روح الإسلام يتطلب إبعاد ما يقترن بهذا الدين الحنيف من التقاليد الاجتماعية التى تحول دون الوصول إلى معناه الحقيق ، وقد كان الحجاب من هذه التقاليد الموروثة جيلا عن جيل فتأصلت فى النساء حتى بلغت حد الاعتقاد بأن الحجاب من مقتضيات الدين والدين براء من ذلك وليس بين آى القرآن الكريم آية تفرض الحجاب على المرأة .

وانتقل قاسم أمين بعد ذلك إلى مسألة نزع الحجاب فبسط مضاره ونوه بالفوائد التى تنتج من إلغائه ، وقد كان الحجاب أشبه بحاجز قائم بين المرأة والعالم الخارجى يحول دون نهوضها ، ولم يكن فى استطاعة المرأة أن تتمتع حق التمتع بحقوقها وحريتها وهى ذات حجاب محجوزة فى حريم الدار لا تجد سبيلا إلى النهوض بنفسها .

ولم يكن يتسنى للمرأة المحجبة أن تنال قسطاً وافراً من التعليم إذ كان عليها أن تضع الحجاب عند بلوغها الثانية عشرة من العمر ، وكان يتبع

ذلك فى أكثر الأحيان مغادرة المدرسة والزواج بعد فترة قصيرة من الزمن .

وهكذا لم تكن البنت تجتاز مرحلة الشباب بل كانت تنتقل من الطفولة إلى الأمومة رأساً ولذلك كان تعليمها يظل ناقصا ولا ينتج الثمرة المرجوة . ولا ريب فى أن هذه الحالة التى تنزوى فيها المرأة وترزح تحت عبء الأمومة وهى فى مثل تلك الدرجة من حداثة السن لا تفسح لها مجالا لاستيعاب معارفها والاتصال بالناس وإدراك معنى الحياة ، وكان كل ذلك يضعف من مداركها ويحول دون نضجها واستوائها .

وقد انتهى قاسم أمين فيما تقدم إلى أنه ينبغى العمل على أن تتصل المرأة بالمجتمع .

أما القول بأن الحجاب يصون الشرف فقد كان قولا جديراً بالنقاش فى مطلع القرن العشرين أما اليوم فهو أقرب إلى الإضحاك والنكات ، ولا عبرة بأن الكثيرين ظلوا زمنا طويلا يحاولون إثبات الاقتناع بصحته ، ومن يعتقد أن النساء إذا حجزن أصبحن شريفات يناقض نفسه بنفسه لأن الشرف يقترن بحرية العمل فإذا قضيت على هذه الحرية قضيت على الشرف أيضا .

وقد وضع قاسم أمين فى هذا الصدد مقارنة طريفة بين الفلاحة وابنة المدينة فى مصر ، فالفلاحة تعمل فى الحقل مع الرجال دون أن تستر وجهها بالحجاب وفتاة المدينة تتجنب الرجل مسفرة أو محجبة وقد

لوحظ أن هذه على الرغم من تحجبها لا تزيد تمسكا بالشرف من الأولى وقد يكون العكس صحيحاً .

وهكذا أثبت أن الحرية هى أول شرط من شروط الشرف فتجريد المرأة من الحرية يعادل تجريدها مما لها من قيمة إنسانية ومعنوية ، وهو لذلك يطلب تخليص المرأة من الحجاب وتعليمها التعليم الأولى على أن يتم نزع الحجاب تدريجيا مراعاة لظروف الزمان والمكان وخوفا من الطفرة وآثارها الجسام .

أما كتاب قاسم أمين الثانى أى المرأة الجديدة فهو يعالج الموضوع بتوسع متمما ما بحثه فى كتابه الأول وقد تجلت فيه آراء الكاتب بدقة ووضوح وهو يقول فى مقدمة هذا الكتاب بعد أن تحدث عن المرأة الجديدة وأنها ثمرة من ثمرات التمدن الحديث وأنها فى أوروبا قد تثقف عقلها وتهذبت أخلاقها وشاركت الرجل مشاركة الأصيل فى مختلف نواحى الحياة ، وهكذا تم لها التحول عن الجهالة إلى العلم والعرفان بعد كفاح مرير بين أنصارها من المجددين وخصومها من الجامدين .

يقول قاسم « غاية ما نسعى اليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال اللائق بصفتها فتمنح نصيبها من الرقى فى العقل والأدب ومن سعادة الحال فى المعيشة وتحسن استعمال ما لها من النفوذ فى البيت »

« إذا تم ذلك فنحن على يقين لا يزعزعه أدنى شك من أن هذه

الحركة الصغيرة تكون أكبر حادثة فى تاريخ مصر . أما إذا كان هذا هو اعتقادنا فهل يصح أن يصدنا شىء عن المثابرة فى السعى إلى تحقيق آمالنا ؟ . . نحن لا نكتب طمعا فى أن ننال تصفيق الجهال وعامة الناس الذين إذا سمعوا كلام الله وهو الفصيح لفظه الجلى معناه لا يفهمونه إلا إذا جاء محرفا عن وضعه منصرفا عن قصده برأى شيخ هو أجهل الناس بدينه ولا يحبون الوطنى إلا إذا تمثل لأعينهم فى صورة قبيحة وبأخلاق رثة وعادات سخيفة وإنما نكتب لأهل العلم وعلى الخصوص للناشئة الحديثة التى هى مستودع أمانينا فى المستقبل فهى التى بما اكتسبته من التربية العلمية الصحيحة يمكنها أن تحل مسألة المرأة المكان الذى تستحقه من العناية والبحث »

ثم يمضى الكاتب فى مؤلفه « المرأة الجديدة » متحدثا فى استفاضة عن المرأة فى حكم التاريخ ثم يتطرق من ذلك الى الحديث عن حرية المرأة التى وقف قلمه وبيانه على الدفاع عنها ، ثم يقف وقفة المعلم الوفى لفنه وعلمه ويذكر للمرأة واجباتها نحو نفسها وواجباتها نحو أسرتها ، حتى إذا فرغ من ذلك مضى بنا إلى حديث طويل عن التربية والحجاب أنهاه بخاتمة فى اضطراب الأفكار نحو المرأة فى مصر إذ ذاك وهو يعنى فى كتابه جميعا برسالته التى وظف لها نفسه وهى الدفاع عن المرأة المصرية وحقوقها حتى أثار عليه هذا الدفاع أقلاما سليطة هنا وهناك .

وقد أثار نشر كتابى قاسم أمين فى مصر ضجة قوية وموجة من

الاستنكار الشديد فى المحيط الاجتماعى وبدا لأغلبية الشعب أن ما اقترحه لإصلاح حال المرأة فيه اعتداء على الدين وتهجم على تعاليمه ، وحمل الجميع على الكاتب تدفعهم عوامل مختلفة منها حسن النية ومنها غريزة التقليد والمحاكاة وكان فى مقدمة من حملوا لواء النضال المغفور له طلعت حرب باشا رجل المال والاقتصاد الكبير فقد كان يقف على الدوام موقف المعارض فى تطور المرأة ، ومن العسير على المرء أن يهضم موقف هذا الرجل الواسع الإدراك من المرأة ونهضتها وهو زعيم مثالى إذا تعددت فى مصر النهضات !

فهو للأسف الشديد لم يلمس الفوائد الجمة التى تترتب على تعليم المرأة ، وقد استعمل كل ما له من المرونة الطبيعية لمحاربة فكرة إنهاضها .

وقد ذكرنا فيما سبق أن قاسم أمين استند إلى الدين فيما كتبه لإعلاء شأن المرأة والمطالبة ببعض ما لها من حقوق ، والغريب أن طلعت حرب باشا اتخذ أيضا من الدين تكأة يحاج بها ويحارب قاسما فيما ذهب اليه من نصرة المرأة وتشجيعها ، وهذا التناقض الظاهر فى أن يواتى الدين نصير المرأة كما يواتى خصيمها يرجع بلا شك إلى أن المبادىء الدينية بوجه عام تحتمل تفسيراً واسع النطاق بحيث يتسنى تطبيقها فى جميع الأوقات وفى مختلف الأوضاع ، وحيث أنها مبادىء عامة فى الأمكان

أن يجد الإنسان فيها من الحجج مايؤيد تحرير المرأة أو ما يعاكس ذلك ولهذا ينبغى للمرء فى مثل هذه الحال أن يكون رائده حسن النية فيفسر الدين دون تحيز مقتبسا أعمق معانيه وأوسع أهدافه .

ونحسب أن طلعت حرب باشا أقام حملته على أساس تلك الفكرة الشرقية الخاطئة القائلة بأن المرأة مخلوق ثانوى المكانة أعدته الأقدار ليجلس عند أقدام الرجل لا ليحيا حياة مماثلة له وهو النصف الرقيق فيما جرت عليه الحكم والأمثال .

وقد رد على كتابى قاسم أمين فى كتيبين أحدهما « تربية المرأة والحجاب » والآخر « فصل الخطاب فى المرأة والحجاب » مظهراً موقفه فيهما بجلاء ووضوح من البداية وقد أطلق معارضته لكل فكرة تتعلق بتعليم المرأة وإنهاضها .

والواقع أنه ما كاد قاسم أمين يضع كتابه الأول حتى بدا فى الأوساط المصرية تياران مختلفان فى الآراء أحدهما يؤيده والآخر يضاده وكانت الأغلبية الساحقة لا تميل إلى تحرير المرأة وذلك طبيعى فى جيل اعتاد رجاله أن يكونوا مسيطرين على المرأة سيطرة فيها إشباع رغبة ملكت حواسهم وهى اعتبار المرأة متاعا أو حيوانا أليفا يسهل قياده فلا معنى أن يقوم بينهم من يحد من اختصاصهم ويسلب منهم سيطرتهم ويرفع المرأة إلى جانبهم .

وقد لاحظ طلعت حرب باشا أن السواد الأعظم يقف موقف

المحافظ فكتب فيما كتب أنه لا يمكن أن يتفق الناس جميعا على خطأ .

وإذا نحن ألقينا نظرة على تاريخ الإنسانية اتضح لنا أن صوت الأغلبية كثيراً ما قام فى وجه الحقيقة إذ أن صوت العدد الأكبر يتبع العادة والتقليد وإن لم يكن ثمة ما يبررهما .

ولما شرع طلعت باشا حرب فى هذه الحملة وقفت كثرة الشعب فى جانبه وأيدته فاستهدف قاسم أمين للإهانة تلو الإهانة غير أنه ثبت فى موقفه وواجه خصمه فكان لحملته فى سبيل المرأة أعظم الآثار على تطور الحركة النسائية فى مصر .

وقد جاءت الحوادث فيما بعد تؤيده وتثبت الحق فى جانبه فاذا كانت المرأة قد بلغت بها الشجاعة بعد ذلك بقليل أن تطالب بحقوقها وتحصل عليها وأن تحمل الرأى العام على الاعتراف بتحريرها فالفضل الأكبر يعود إلى قاسم أمين .

٢ – الشيخ محمد عبده

هناك فكرة أساسية نهتدى بها فى هذا الكتاب هى أن الدين الاسلامى لا يعد مسؤولا عن حالة الهبوط التى كانت فيها المرأة المصرية فى أوائل القرن العشرين من النواحى الفكرية والاجتماعية والأدبية.

لقد وضعت المبادىء الدينية عند نشأة الاسلام لتكون عامة ولكنها طبقت عند انتشاره تطبيقاً خاصا بحسب أحوال البيئة فى ذلك العهد وهى تشمل ماضيها وعاداتها المكتسبة وتقاليدها فكانت المبادىء تساير هذه الأحوال مع مراعاة جو الحياة والوسط ومطامح الشعب وغير ذلك

وللدين الاسلامى ميزة هامة جدا هى أنه دين يشمل تشريعا حقيقيا وقد أدى اقتران الشرع بالدين إلى قيام بعض صعوبات يعسر أحيانا تذليلها لأن مبادىء الدين توضع كما يقضى المنطق لتكون عامة ما دام الدعاة يسعون إلى نشرها فى العالم أجمع ولأن التشريع ينحصر بطبيعة الحال فى نطاق المحيط الذى يطبق فيه ولا يمكن أن تكون لأحكامه قيمة عملية إلا إذا روعيت فيه عادات هذا المحيط وتقاليده وهذا ما أوجد احتكاكا بين تلك المبادىء وما لها من صفة عامة وبين التشريع المقيد بنطاق المحيط الذى ينفذ فيه.

وإذا كان الاسلام قد سار فى بداية عهده دون أن تقوم فيه صعوبات

من هذا القبيل فذلك لأن المبادىء كانت إذ ذاك تتفق اتفاقا تاما مع عادات الشعب وتقاليده الاجتماعية فلما تبدل المحيط واختلفت العادات فيه أخذت الصعوبات فى الظهور لأن التشريع كما سبق القول يختص بالمحيط فاذا ما تغيرت الأحوال الاجتماعية وجب تغيير التشريع ذاته أيضا ، وذلك يجب أن يتم دون مساس بالمبادىء الدينية التى ينبغى أن تظل ثابتة دون تعديل ، وفى الامكان الفصل بين الحالة الاجتماعية والحالة الدينية دون تغيير فى الثانية أو افتآت عليها

ولكن كثيرا ما يقوم فى خاطر الشعب من الأفكار ما يحول دون هذا الفصل وهذا ينشىء كثيرا من الصعوبات التى تعترض ضروب الاصلاح المختلف إذ يختلط الأمر بين التعاليم الدينية وبين العادات الاجتماعية فيسند الى الدين ما هو خاص بالتقاليد ويتصور الشعب أن أقل تغيير فى التقاليد يمس الدين نفسه .

والحجاب يعد خير مثل يؤيد هذا الرأى فليس هناك أى مبدأ دينى يلزم المرأة بلبس الحجاب كما كانت تضعه إلى عهد قريب ، ولكن لما أقدمت السيدة هدى هانم شعراوى منذ عشرين عاما على نزع الحجاب مختارة كان عملها هذا موضع استنكار عند الكثيرين وأسند المستنكرون حجتهم إلى الدين والدين لا شأن له فى الأمر لأن الحجاب نشأ عن التقاليد الاجتماعية ، فقد كانت زوجات النبي الكريم يألفن التحجب

وكانت النساء يحذون حذوهن فعد الحجاب من التقاليد التى تخلع على المرأة ثوبا ضافيا من الكرامة .

ومن الأدلة القاطعة على أن مصدر الحجاب اجتماعى وتقليدى أن بعض النساء القبطيات فى الوجه القبلى ما زلن يستعملنه حتى الآن

وهناك أمور أخرى كثيرة تعزى إلى الدين وهى ناشئة من العادات وللتقاليد وهذا ما كان يشل كل مجهود يبذل فى سبيل تحرير المرأة . إذ لا شك فى أن القيام بهذا الضرب من الاصلاح فى جو يسوده الهدوء يتطلب التميز بين المبادىء الدينية التى لا تتبدل وبين العادات الاجتماعية التى تتطور وتحتمل التعديل والتبديل وكان ينبغى فى هذه الحالة ايضاح الأمر لتكون للمرأة نقطة ارتكاز تبنى عليها سعيها لتحقيق رغبتها فى التحرير .

وكان من الضرورى أن يتم إيضاح الأمر على يد عالم دينى أو فقيه متشرع كى تأخذ المرأة سندا من حجته وتكتسب تأييداً من إيضاحه

وقد قام الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده بهذا العمل اذ حلل المسألة تحليلا يمكننا من التميز بين التعاليم الدينية والتعاليم الاجتماعية وإدراك روح الدين على الوجه الصحيح . أما الأمور التى عالجها الشيخ محمد عبده من الناحية الدينية فيما يختص بحقوق المرأة فقد تناولها قاسم أمين بالبحث من الناحية الاجتماعية .

وقد وجدت آراء قاسم أمين تأييدا تاما عند الشيخ محمد عبده .

وحدث فى سنة ١٨٩٧ أن اجتمع الأستاذ الامام وسعد باشا زغلول ولطفى السيد ، وقاسم أمين فى جنيف وأخذ الأخير يتلو على الامام بعض فصول من كتابه عن تحرير المرأة فكان يوافق على مافيها وقيل إن بعض فقرات هذا الكتاب تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

فالمرأة إذن مدينة بكثير من الفضل للشيخ محمد عبده وما كان يجلوه من المبادىء الحرة فقد جعلها تدرك حقوقها وجاء تفسيره للقرآن صادقا ومنصفا حركة تحرير المرأة ، وقد تيسر بفضل ما للشيخ عبده من السلطة لدينية درس بعض التعاليم درسا جديا ، وإن أثار ذلك حفيظة بعض الرجعيين الذين اتهموه بالزيغ والكفران .

وقد كان الشيخ محمد عبده عالما كبيرا واسع الاطلاع عميق التفكير وقد تناول بالدرس الجدى بعض القواعد الدينية التى كان الخطأ فى تفسيرها يضر بالمرأة كثيرا ، وكانت مسألة تعدد الزوجات من أهم ماعالجه وعنى به من المسائل ، وقد كتب فى ذلك مقالا طويلا فى جريدة الوقائع المصرية حين كان يتولى رئاسة تحريرها فى العدد ١٠٥٦ سنة ١٢٩٨ هجرية نقتطف بعض فقرات ذلك المقال لنبين وجهة نظره وهى قريبة جدا من وجهة نظر أنصار المرأة المصرية الحديثة .

قال الشيخ الكبير « قد أباحت الشريعة المحمدية للرجل الاقتران بأربع من النسوة ان علم من نفسه القدرة على العدل بينهن وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة قال تعالى (فان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة) فآن

الرجل اذا لم يستطع أعطاء كل منهن حقها اختل نظام المنزل وساءت معيشة العائلة إذ العماد القويم لتدبير المنزل هو بقاء الاتحاد والتآلف بين أفراد العائلة . . . » ثم يمضى الأستاذ الامام مبينا المتاعب التى يلقاها زوج أكثر من واحدة مصورا ماتكلفه النبى صلى الله عليه وسلم للعدل بين زوجاته وقد اتخذ النبى فى تحقيق هذه العدالة أساليب تتعذر على الناس اذا راعوا ظروفه الخاصة إذ ذاك وظروفهم اليوم وما أبعد الشقة بين دوافع ذلك الزواج ودوافع زواج القرن العشرين كما أن الظروف الاجتماعية والسياسية تختلف أشد الاختلاف عنها اليوم .

فالشرط الأساسى لجواز تعدد الزوجات فى الاسلام اذن هو التثبت من صحة معاملة النساء معاملة عادلة فاذا لم يكن فى الامكان تحقيق هذه العدالة بصورة أكيدة قاطعة فلا يحق للرجل الاقتران بأكثر من زوجة . قد يصح القول بأن العرب عند انتشار الاسلام قد تيسر لهم تحقيق العدالة المادية الدقيقة بين الزوجات أما الآن وقد تطور المجتمع وازدادت مطالب النساء فقد أصبح ذلك متعذراً إذ يخيل الينا أنه يستحيل على رجل مقترن بأربع نساء لكل منهن شخصيتها ولكل أخلاقها وعاداتها أن يعاملهن جميعا معاملة دقيقة عادلة من الناحية المادية فاذا ما اشترى لكل منهن ثوبا وجب عليه أن يراعى مطلب كل منهن وكلما أعطى احداهن شيئا حق عليه اعطاء الثلاث الأخريات مثله ومثل هذا يجعل تحقيق العدالة مستحيلا كما قدمنا .

وكاد الشيخ محمد عبده اعتمادا على مثل هذا المنطق ينتهى إلى مايشبه منع تعدد الزوجات إذ كان يعتقد أن الأحوال الاجتماعية فى أوائل القرن العشرين لا تدع سبيلا إلى تحقيق العدالة المطلقة بين نساء الرجل الواحد فلا يعود يحق له وفاقا للشرع الاسلامى الاقتران بأكثر من واحدة وخاصة أن تعدد الزوجات ينطوى على مضار كثيرة أخصها الحقد الذى يدب بين النساء والأولاد ، وعدم توازن الميزانية بسبب نفقات كل زوجة وتعدد حوادث الطلاق وتفكك أواصر الأسرة بوجه عام وما إلى ذلك . فلا يصح وفاقا لما تقدم أن يكون تعدد الزوجات قاعدة بل يجب أن يعتبر استثناء لا يسمح به إلا فى حالة ضرورية كعقم الزوجة مثلا .

وإذا كان القرآن يسمح بتعدد الزوجات كضرورة فردية أو اجتماعية فذلك لا يعنى أنه يؤيد هذا النظام نفسه والدليل على ذلك ما نراه من عدم وضوح التعاليم الدينية فى شأنه ، بل أننا نستطيع أن نرى فى قوله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » تحريما للزواج بأكثر من واحدة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى احداهما دون الأخرى - وفى رواية ولم يعدل بينهما - جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » وفى كل هذه الأقوال المأثورة ما يدعو إلى الحذر ، لأن الزوج لن يعدل بين زوجاته مهما يحاول ذلك العدل ، وشقه لا بد

مائل يوم القيامة ، وحاله لا بد تعس فى دنياه ، فخيره له فى الدنيا والآخرة أن ينتصف لنفسه فينصف زوجه ويبقى لها وحده

ويحق لنا أن نقول أن نظاما ينظر إلى عوامله نظر أمر يتعذر تحقيقه لهو نظام ممنوع حقاً .

وقد كان تفسير الشيخ محمد عبده للقرآن مع مراعاة المبادىء الحرة خطوة خطيرة فى سبيل ارتقاء المرأة إذ مهد طريق الاصلاح أمام المصلحين وسلح المرأة المصرية بالشجاعة وروح الاقدام وحملها على المطالبة بحقوقها والعمل على تحرير نفسها فيكون رحمه الله قد أدى بذلك أجل خدمة لقضية المرأة وتطور حركتها النسائية فى مصر وفى البلاد الاسلامية الشقيقة .

الفصل الخامس

نهضة المرأة التعليمية

نهضت المرأة فى مصر نهضة ملموسة فى جميع الميادين وميدان التعليم خاصة فقطعت شوطا بعيدا فيه وقامت تعالج طائفة من المشاكل المعقدة تتطلب الحل السريع بسبب السرعة الفائقة التى اجتازت بها فترة الانتقال والتى جعلت مشاكلنا تنطبع بطابع خاص وتتطلب درسا خاصا لحلها .

لقد كانت برامج التعليم والتربية عندنا مشبعة بالروح ، الغربية فكان من أهم الأمور عند العمل بهذه البرامج التوفيق بينها وبين مستوانا الفكرى وميولنا الثقافية ، ونحسب أن الحالة باتت تقضى بتعديل برامج التعليم فى مصر بعد الحرب كما يتجه الرأى العام العالمى إلى هذا التعديل فى جميع البلدان ، وتعديل هذه البرامج واجب فى مصر قبل غيرها من البلاد لأن تطورنا اقترن بالتقدم مع مرور الزمن وقد اندفعنا من تلقاء أنفسنا اندفاعا عنيفا نحو كثير من الأهداف الرفيعة والمرأة المصرية

خير مثال لهذا التطور السريع إذ انتقلت فى بضع سنين من حريم الدار إلى المحاماة .

ومثل هذا الاندفاع يتطلب كثيرا من الشجاعة للتغلب على الصعاب ما ظهر منها وما سوف يظهر إذ علينا أن نوفق بين اندفاعنا فى التقدم وبين ما خلفه لنا الماضى من تراث لا يزال ماثلا أمامنا وهو يتصل بمستقبلنا وكثيرا ما يشل حركة نهضتنا ، ولا يخفى أنه عندما تكون النهضة نتيجة تطور بطىء يساعد الماضى فى تمهيد السبيل للمستقبل أما إذا سارت بسرعة كبيرة فانه يخشى أن تقوم على أثرها أصعب المشاكل وأعقدها

وفى مقدمة هذه المشاكل اصلاح التعليم فى مصر وخاصة تعليم الفتيات لأن مستقبل الأمة يتوقف دائماً على مستقبل الأمهات من الناحيتين الفكرية والاجتماعية فحيث تكون الأمهات الجديرات بهذا الاسم يكون الأطفال ذوو التربية الحسنة ورجال المستقبل الذين تضع الأمة فيهم آمالهم ، وترجو على أياديهم جيلا جديدا فيه القوة والحياة .

ونحسب أن رياض الأطفال من أهم المسائل التى تشغل العالم جميعاً إذ فيها تنشأ نواة الأمة وتكتسب قواها الأولى وفيها يمهد السبيل للجيل الجديد كى ينمو صحيحا قويا ، وكل ما عندنا من رياض الأطفال فى هذا الوقت هو ١٢٥ روضة تضم نحوا من ١٥٤٨٩ طفلا .

وإذا ما ذكرنا أنه لم تكن عندنا إلى عهد قريب أية روضة من هذا النوع اتضح أننا خطونا فى هذا السبيل خطوات واسعة ، أما إذا قارنا

بين هذا العدد من الأطفال ومجموع الأطفال فى مصر فاننا نجد النسبة ضئيلة جدا وبما أننا ننظر الى الأمام ولا نرد الطرف الى الخلف وجب علينا أن نفكر فى أمر الأطفال الذين لايذهبون الى رياض التعليم الخاصة بهم وفى طريقة معيشتهم ومستقبلهم وهؤلاء هم لسوء الحظ الكثرة الساحقة التى يضنيها الفقر ويقتلها العوز .

وإذا كان الواجب يقضى بانشاء رياض للأطفال تتسع لهذه الأغلبية فانه يجب أن يكون لهذه المعاهد طابع خاص وذلك لأن أطفال الشعب ينشأون عامة فى بيئة فقيرة فينبغى عزلهم واعدادهم لمستقبل جديد وتعويدهم على حياة سهلة تجعلهم يمقتون البؤس ، ولهذا يجب أن يقضى هؤلاء الأطفال النهار والليل فى هذه الملاجىء حتى لايعودوا فى مساء كل يوم إلى بيوتهم التى ألفوا فيها الفقر والبؤس ، ولا شك فى أن بث روح الكراهية للبؤس تطبع نفوسهم بطابع الهمة وترنوا بأبصارهم الى واسع الآفاق .

وهذه الخطوة التى نرجوها لأطفالنا تزداد أهمية فيما يختص بالفتيات الصغيرات لأنهن أمهات الجيل القادم وعماد المجتمع فى المستقبل .

وخير وسيلة لتكوين مجتمع متين الأساس فى مصر هى إنشاء ملاجىء كالتى تقدم ذكرها فى جميع المدن الكبيرة إذ لايرجى أن يتم

التعليم الثانوى والعام على الوجه المرضى مادامت التربية الأولى ناقصة لأن العوامل التى تؤثر فى النفوس فى عهد الطفولة تكون أساس كل شىء اذا خطا الأطفال إلى دور المراهقة والشباب

وهناك طريقان لعلاج هذا الموقف ، الطريق الأول أن يساهم الجمهور فى هذا العمل الجليل فيسعى الى تأليف جماعات من ذوى الإقدام لتحقيق مثل هذا المشروع مهما يبد ضخما فى أول الأمر ، والوسائل التى تصل بنا الى هذا الهدف كثيرة تتجلى عند الاستعداد للعمل ، ومن هذه الوسائل أن تتولى سيدة مثرية فى كل حى من أحياء القاهرة أو غيرها من مدننا الكبيرة انشاء ملجأ صغير على نفقتها يضم الأطفال المشردين والفقراء بوجه عام .

وعلى هذه الجماعات توجيه النداءات إلى السيدات المثريات للاشتراك فى هذا العمل الخيرى ولا شك فى أنهن يتسابقن لتلبية النداء يدفعهن حب الخير والاصلاح ، وهذه الوسائل من شأنها أن تؤدى إلى حل مشكلة الطفولة فى مصر وهى أهم مشاكلنا جميعاً والنجاح فى حلها يسهل حل غيرها من هذه المشاكل ، والمهم فى الأمر كله هو أن يبدأ الجيل الجديد حياته بداية حسنة وأن يشعر بأن المستقبل يفتح له ذراعيه بجود وسخاء

* * *

هذه وسيلة من وسائل الكفاح فى سبيل أطفال مصر وطفلاتها ،

ونحسب أن الاعتماد فيها على المثريات يكلف جهدا قد لا يفيد فائدة كاملة لذلك يحسن بالدولة أن تتولى بنفسها هذه الرسالة، وهى رسالة المجتمع الجديد الذى يريد الغذاء والكساء والعلم للناس جميعا، ولن تعدم الدولة وسيلتها فى تحقيق هذه الغاية فلتفرض الضرائب على الأغنياء أو تلتمس بطرائقها الخاصة كل وسيلة لتنفيذ هذه الخطة الاساسية فى بناء جيل جديد سعيد.

أما عن مدارس البنات فلا ريب فى أن عددها قد ازداد فى مصر منذ أنشأ الخديوى اسماعيل فى سنة ١٨٧٣ مدرستين للبنات فى القاهرة، وفى أثناء نصف قرن من الزمن بلغ عدد التلميذات فى المدارس المصرية البحتة نحوا من ٤٤٣١٩ تلميذة ولم يكن يذكر لهن عدد قبل ذلك، ويبلغ عدد مدارس البنات عندنا فى الوقت الحاضر ٣٢٢ مدرسة ما عدا المدارس الأجنبية من انجليزية وفرنسية وغيرها وهى كثيرة العدد، وهذا يدل على أن تعليم البنات خطا خطوات واسعة سريعة فى مصر وان كانت الحالة من حيث عدد المدارس لا تقارن بمثلها فى بعض البلدان العربية، والحق أننا قطعنا فى هذا السبيل شوطا بعيدا يجعلنا ننظر الى المستقبل فى ثقة واطمئنان، ونورد فيما يلى جدولا تفضل باعطائه لنا مراقب تعليم البنات فى مصر وهو يبين عدد مدارس البنات المصرية وعدد من فيها من تلميذات.

مدارس البنات

وعدد التلميذات فيها (يوليو ١٩٤٤)

مدارس البنات الحكومية

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد التلميذات
مدارس ثانوية	٩	٢٧٣٣
كليات	٢	٤٦٦
مدارس التعليم المنزلى	٧	٩٩٥
مدارس فنية	١٢	٢٦٧٥
مدارس ابتدائية	٣٣	٦١٨٦
رياض أطفال	٣٠	٤٤٥٣
مدرسة أم المحسنين	١	٧٤
	٩٤	١٧٥٧٢

المدارس الحرة للبنات

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد التلميذات
مدارس ثانوية	١٢	٩٩٧
مدارس ابتدائية	١٠٢	١٢٩٥٧
رياض أطفال	٩٥	١١٠٣٦
مدارس فنية	١١	٧٠٨
مدارس الفنون النسوية	٨	١٠٤٩
المجموع	٢٢٨	٢٦٧٤٧

واذن يكون مجموع عدد المدارس ٣٣٢ مدرسة يتلقى العلم فيها ٤٤٣١٩ وإذا كان يبدو أن عدد المدارس قليل وأن عدد التلميذات لا يتجاوزن الخمسين ألفا فان الجيل القديم وحده هو المسئول عن هذه الحالة ، فان هذه المدارس وتلك التلميذات غرس جيل جديد أستطاع أن ينتزع هذه النهضة التعليمية من الأسود الفاغرة أفواهها لتبتلع كل عمل يتصل بالمرأة وتقدمها ، فهو مشكور على كفاحه من أجل هذه النهضة التى ستبلغ ذروتها قريبا .

ولا ننسى أن هذا الجدول الذى أشرنا اليه لا يشمل سوى المدارس المصرية ويجب أن نضيف اليها المدارس الأجنبية على اختلاف عناصرها ولغاتها وهى كثيرة فى مصر ومجموعها يزيد عدد مدارس البنات فى البلاد زيادة كبيرة .

فاذا ظل عدد هذه المدارس آخذا فى الازدياد بمعدل ازدياده خلال السنوات الثلاثين الماضية إذ ليس هناك من الأسباب ما يحول دون ذلك حق لنا أن نأمل أن يتطور التعليم النسوى فى مصر فى المستقبل تطورا واسع النطاق ، يثبت حيوية المرأة المصرية واستعدادها الأصيل للعلم والحياة .

وقد أنشئت جامعة فؤاد الأول فى القاهرة فى سنة ١٩٢٨ ولم ينقض وقت طويل على انشائها حتى تقدمت بعض الفتيات للالتحاق بها . فرأى مدير الجامعة وكان إذ ذاك لطفى السيد باشا أنه إذا هو طلب إلى الحكومة

بأن تسمح بقبول الفتيات فى الجامعة لفت نظر جماعة المحافظين إلى الأمر فعمد إلى طريقة تنطوى على كثير من اللياقة لتيسير قبولهن ذلك أنه عامل الفتيات اللاتى تقدمن للالتحاق بالجامعة وعددهن خمس فتيات معاملة الطلاب أى أنه أصدر إلى سكرتيرية الجامعة تعليمات تقضى بتقييد أسم كل طالب يحمل شهادات دراسية تؤهله للتعليم العالى دون اشارة إلى جنس الطالب وبهذه الطريقة سار الأمر من غير صعوبة فى البداية وقبلت الفتيات فى الجامعة .

ثم اتفق الجامعيون فيما بينهم – وهم نخبة ممتازة من أبناء مصر الحديثة ، اتفقوا على أن يشجعوا المصرية التى تتقدم الى الجامعة بألوان التشجيع المختلفة وفى مقدمتها منحها مجانية التعليم ، وأحس الرجعيون هذا الحدث الجديد الذى يتزعمه لطفى السيد فى الجامعة ويناصره فيه بعض العمداء وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب إذ ذاك ، وأخذ هؤلاء الرجعيون يتربصون للجامعة وطالباتها ويرجون بادرة من البوادر ليهاجموا الجامعة ورجالها المؤمنين برسالتها التى لا تتحقق إذا أغلقت أبوابها فى وجوه الفتيات .

وفى سنة ١٩٣٢ ظهرت صورة للدكتور طه حسين بك فى نادى الجامعة وعلى يمينه ويساره الطلبة والطالبات جلوسا يتناولون الشاى ، وقامت القيامة لهذه الصورة البريئة التى تضرب المثل للأبوة فى وجود العميد والأخوة فى جلسة الطلبة والطالبات ، واتخذت الصورة تكأة

يتخلص بها الرجعيون من طه حسين ولطفى السيد ، ووقف الرجعيون فى مجلس النواب يحملون على الجامعة ورجالها وفكرة تعليم البنات فيها ويرون فى ذلك فضيحة من الفضائح يجب أن تحول دونها الحكومة التى تستمد حياتها من دستور يجعل المصريين جميعا متساوين كأسنان المشط فى الحقوق والواجبات ، ولكن الحكومة أذنت لمجلس نواب ذلك العهد أن يعصف باستقلال الجامعه وعصفت هى من ناحيتها برجال الجامعة ولكن تعليم البنت خرج سليما من هذه الموجه الرجعية السخيفة واحتفظت المصرية بمكانها فى الجامعة رغم صياح المتصايحين

ولكن حدث فى سنة ١٩٣٧ أن أبدى بعض الطلبة رغبتهم فى فصل الفتيات عن الفتيان فى الجامعة وأبدت بعض الصحف هذه الرغبة غير أن الجامعة تجاهلت الأمر وظلت الفتيات فى مكانهن ، ثم ظهرت بعض العناصر الرجعية فى عهد مجلس الوصاية وأخذت تهاجم الجامعة مهاجمة شديدة ودعى البعض إلى التظاهر فى الشوارع والهتاف بألفاظ نابية لا تليق ، لغرض أثار ضحك الأجانب ، ولكن ادارة الجامعة وقفت موقفا حازما وقاومت تلك الحركة ما استطاعت فلم تفقد الفتيات شيئاً من حقوقهن فى الجامعة .

وقد بذل الدكتور طه حسين بك وكان إذ ذاك عميدا لكلية الآداب جهودا كبيرة جدا فى هذا النضال للمحافظة على حقوق المرأة فاستهدف لأشد ضروب النقد وخاصة لأنه كان على الدوام فى

مقدمة مؤيدى الحركة النسوية ومن العاملين على تأييدها وانهاضها ، وقد قابل الدكتور طه حسين بك هذه الحملة بمقاومة شديدة فلم ينزل بحال من الأحوال عن أى حق من حقوق المرأة ، ويجب أن يذكر له فضل تشجيعه الفتيات المصريات على طلب العلم فى جامعة القاهرة والجامعات الأوروبية وما أدى اليه ذلك من نجاح كثيرات منهن ، وقد أظهر فى سياق دفاعه عن تعليم المرأة أنها ليست أقل استعدادا من الرجل وأنه ينبغى أن تتمتع بالحقوق التى يتمتع بها الرجل .

وفى سنة ١٩٤٢ أنشئت جامعة فاروق الأول بالاسكندرية وكان يتولى وزارة المعارف إذ ذاك نجيب الهلالى باشا وعين الدكتور طه حسين بك المستشار الفنى للوزارة مديرا لها بالنيابة فشجع الفتيات على الالتحاق بها أيضا ، وبذلك قارب عدد الفتيات اللاتى يتلقين العلم فى الجامعتين ستمائة فتاة ، أى زاد عدد الطلبات الجامعيات على مائة ضعف فى ستة عشر عاما .

ولا يزال التطور النسائى مع هذا يصطدم بمعارضة بعض العناصر وقد حدث أخيراً أنه أريد اصدار قانون يمنع المرأة من الاشتغال بالمحاماة ولكن كلا من مجلسى النواب والشيوخ رفض هذا الاقتراح لحسن الحظ ، وكان بين الذين اشتركوا فى المناقشة فى هذا الموضوع كثير من ذوى الشخصيات الكبيرة وقد أيدوا خطة التعليم النسوى فى مصر كل التأييد ودافع صبرى أبو علم باشا وزير العدل إذ ذاك عن حق

المرأة فى التعليم العالى مقدراً أن حرمان المرأة من هذا الحق لا يتفق مع النهضة التى اشتملت مصر فى جوانبها جميعاً

* * *

وعلى الرغم من جميع هذه الحركات الرجعية تواصل المرأة سيرها قدما فى طريق النهوض والرقى دون أن تنظر إلى الخلف ، وقد وصلت إلى اقناع أغلبية الرأى العام بأنها جديرة بتولى أهم المناصب .

وقد طلب الأستاذ زهير صبرى يوم كان نائباً فى مجلس النواب السابق أن يمنح المرأة المصرية حق الانتخاب فرفض المجلس اقتراحه وأنا نعتقد أن سبب الرفض هو أن هذا الاقتراح سابق لأوانه وذلك لأن الكثرة الساحقة من السيدات المصريات لم ينلن القسط اللازم من التعليم للحصول على حق الانتخاب ومن منطق الحوادث أنه سيسمح للمرأة المصرية بحق الانتخاب فى الوقت الذى تبلغ فيه الأغلبية من النساء المصريات حداً ملائما من التقدم والرقى وكل شىء يحمل على الاعتقاد بأن هذا الوقت آت فى القريب وياحبذا لو تساوى الرجل بالمرأة فى هذا الباب لكانت طرائق الحياة الدستورية ووسيلة الانتخاب أسلم حالا مما هى عليه الآن .

ولم يقف ذوو الشأن عند حد انشاء جامعتى فؤاد الأول وفاروق الأول اللتين نهضتا بالمرأة المصرية نهضة قوية فى محيط التعليم العالى بل

أوفدوا عدداً كبيراً من الفتيات إلى جامعات أوروبا وأمريكا ، وقد نجحت الكثيرات منهن نجاحا باهراً وأصبحن فى مستوى أكثر النساء ثقافة فى العالم .

وكان نجاح هؤلاء الفتيات مهما لا لمجرد قيمة النجاح نفسه بل لأنه أتاح الفرصة لكسب عناصر جديدة من الرجال وخاصة أنهن تولين عند عودتهن إلى مصر مناصب مهمة فى الجامعة وفى وزارة المعارف وغيرها من الوزارات وهكذا أتيحت لهن الفرصة لنشر روح الثقافة والمدنية الحقة التى اكتسبنها فى الغرب فى الدوائر النسائية فى هذا الوطن وكان ذلك مشجعا لغيرهن من النساء إذ انتشر تعليم المرأة وكثر عملها بعد أن كان هذا الاتجاه يعد من سنوات غير لائق فى المجتمع الراقى .

الفصل السادس

المرأة وقدرتها على الشئون العامة

أمثلة من الواقع

إننا بأزاء الحركة العظيمة التى قامت بها المرأة المصرية فى بدء نهضتها للتحرر من قيود الماضى يجب أن نخصص هذا الفصل لايضاح بعض الأفكار التى تتعلق بهذه الحركة وتبيان الأعمال الاجتماعية التى تتولاها الشخصيات النسائية وبذلك نصف الطريق التى سلكتها المرأة فى مصر والأعمال التى قامت بها والتى لا يزال عليها أن تقوم بها .

والواقع أن المرأة فى مصر قد جاهدت وأفلحت فى جهادها ففى مرحلة لا تتجاوز عشرين سنة انتقلت من دائرة الحريم إلى دائرة المحاماة، انتقلت من حياة تكاد تخلو من الحياة إلى المطالبة بالحقوق البرلمانية ولا عجب إذا شغل هذا التقدم العجيب اهتمام الناس من مصريين وأجنبيين إذ قفزت المرأة المصرية إلى الأمام قفزة قوية لم يرالتاريخ مثلها فهى ككل شرقية تحترم نفسها لاتحب الوسط من الأمور بل تميل إلى المخاطرة والمغامرة وشعارها الكل أو لا شىء، إنها بخطوة كبيرة انتقلت من الجهل التام إلى النجاح الباهر فى عهد الدراسة، ومن البيوت المغلقة

المجتمع الخلابة ، فهى تتقدم وتتقدم على الدوام فيجوز أن تصل يوما بقدم ثابتة إلى البرلمان ويجوز أن تحصل على منصب وزارى كما حدث فى فرنسا فى عهد وزارة بلوم كما يجوز أن تحظى بشهرة عالمية وهى تشعر اليوم بنشوة الرضى وسوف تشعر غداً بنشوة الانتصار

إنه لخير للمرأة أن تنسى وقتا ما مظهر عظمتها ونجاحها فتفتح قلبها وتسائل نفسها دون محاباة ، ماذا فعلت وماذا يكون مصيرى وما هى مهمتى الحقيقية وهل أنا أخطأت فى أداء رسالتى وهل أسقطت تلك الواجبات التى يبدو أن الطبيعة تسيرنى اليها ، هل فرضت على نفسى واجباً يثقل على كتفى الضعيفتين أو يخالف اتجاه مصيرى الحقيق ؟

كل هذه الأسئلة تتطلب أجوبة عدة وتتطلب على الأخص قدراً كبيراً من الإخلاص . . . .

ومن الأمور التى تختص بالمرأة وتعتبر من أهم مقومات وجودها الاحتفاظ بأنوثتها فهى إذا ما فقدت أنوثتها فقدت من فى أكثر الأحيان سحرها ورقتها أى جمالها الحقيق . . . . فكثيراً ما تدعى العلم وتهمل نفسها فتصبح أشبه بالرجل منها بالمرأة .

وكثيرا ما نرى الرجال ينفرون من فكرة تثقيف المرأة لأنهم يرون تلك الفكرة مقترنة بالادعاء الفارغ ، وهم على حق اذا استنكروا هذا النوع من التعليم إذ ما من شىء يضايق الرجل أكثر من امرأة مدعية .

إن خير الأمور الوسط فيجب ألا تكون جاهلة ولا مدعية لأن

الأولى تضعف من جمال حياتنا والثانية تهيج أعصابنا واذا كان علينا أن نختار بين الاثنتين فنحن نفضل الجاهلة . لأن اللياقة وحسن الإدراك قد يحلان عندها محل العلم . أما المدعية فما من دواء لدائها .

إنه لضرب من الفن أن يكون المرء متعلما ولا يظهر ادعاءه بالعلم وحبذا لو استطاعت المثقفات بيننا الأخذ بهذا المبدأ والبروز فى هذا الفن فان من فلسفة الحياة أن يتناسى الشخص أنه واسع الاطلاع ويتجاهل معلوماته العميقة فلا يظهر منها إلا ما يتفق وطبيعة الأشياء ومقتضيات الظروف وفى مقدمة ذلك كله شخصية المرأة وأنوثتها ، وسوف يؤيد الرجال جميعا الحركة النسوية لو عرفنا كيف نجيد هذا الفن فلا نرهق محدثنا ببسط معارفنا فى الكيمياء والتاريخ والجيولوجيا حتى ينسى أنه فى حضرة أنثى وطراوة الحديث من شيم النساء . فاذا نحن وصلنا الى هذه النتيجة حللنا مشكلة تتفاقم يوما بعد يوم وهى مشكلة النضال بين الرجال والنساء فى ميدان العلم والحياة العامة .

وهناك مسألة لا نزال نبحثها الى اليوم وهى الدور الذى تلعبه المرأة فى الحياة العامة ، ولكن يلوح لى أن بعض السيدات (من اللاتى منحتهن الطبيعة قسطا وافراً من الذكاء) استطعن أن يجمعن بين الأنوثة والحياة المنزلية وبين القيام بأعباء المناصب .

ومما يدل على أن الحركة النسوية لا يزال أمامها بعض العقبات فى جميع بلاد العالم ما رأيناه من المعارضة القوية فى تعيين السيدة مدام كولنتاى

وزيرة مفوضة للاتحاد السوفياتى فى السويد ، وقد أبدت إحدى الجرائد الكبرى فى مصر رأيها فى هذا الصدد فقالت إن تعيينها لم يضعها فى المكان الملائم لها وأنه خير للعالم أن يظل كل فرد فى مكانه الملائم .

وهذا اتجاه غريب من معارضى هذه الفكرة فإن الأفضل أن تعين فى مختلف البلدان وزيرات مفوضات بدلا من الوزراء المفوضين لأن الصفات التى ينبغى أن تكون للوزير المفوض هى الذوق السليم والرقة وحسن الادراك والكياسة . . . وأكبر الظن أن هذه صفات نسائية قبل كل شىء .

ويجب ألا ننسى ما لاقته مدام شانج كاى شيك فى أمريكا من النجاح الباهر ومن الحفاوة الحارة التى لم يحظ بها بعد أى وزير مفوض وحسبنا لقاء مجلس الشيوخ الأمريكى لها الذى أبدى تأثراً عميقا إزاء سيدة عرفت كيف تتكلم عن عقيدة ثابتة ، وعرفت كيف تعرض مسألة وطنها بقوة وحرارة ، وقد لا يتيسر للماريشال شانج كاى شيك نفسه أن يقوم بمهمة كمهمتها وأن يحظى بنجاح كنجاحها .

وهنا يحسن بنا أن نضع حداً لمسألة كثيراً ما تتداولها الألسن وهى مهمة المرأة فى المجتمع ، قيل كثيراً أن مهمة المرأة أن تكون فى بيتها بجانب زوجها وأطفالها وهذا القول حقيق لا شك فيه فان المرأة تؤدى رسالتها الأولى فى بيتها وهى لا تزعم مكانا يفضل منزلها ، ولكن

إذا وهبتهـــا الطبيعة نشاطا غير عادى وقسطا كبيراً من الذكاء فلماذا لا يتعدى ما لها من نور العقل والإدراك حدود البيت فتخرج الى البيت الأكبر وهو المجتمع الذى نسىء اليـه بحرمانه من فضل ينطوى عليـه قلب بعض النساء .

فلماذا لا يبسط هذا البيت ضياءه ومعارفه فى كل مكان وكل آن ، ولماذا نمنع المرأة وهى هذا المخلوق البشرى من أن تساعد فى الأعمال الإنسانية وتعمل مع غيرها من الناس ، لماذا يجب أن تبقى الأشياء حيث كانت ولا نعطى المرأة حريتها فى التفكير والعمل ونسمح لها تبعاً لذلك بأن تحيا حياة اجتماعية وعقلية مساوية للرجل فان هذا هو المعنى الحقيق للحركة النسوية .

إن الحركة النسوية معناها الصحيح هى التفاهم التام بين الرجل والمرأة لا النضال المستمر بين الجنسين ، يقول المحافظون إن على المرأة أن تكون شريكة للرجل وألا تكون غير ذلك ، ونحن اذا نظرنا الى الأمر عن كثب وجدنا أن القائمات بالحركة النسوية لا يردن غير ذلك ، وينبغى أن يضاف الى ذلك أن المرأة بصفتهـا شريكة للرجل يجب أن ترتفع الى مستواه فتثقف مثله وتكون مساوية له فى الحياة الاجتماعية والأدبية فان لم توفق إلى هـذا الوضع تصبح شركتها ومساعدتها قليلة القيمة .

ثم لماذا نأسف على رفع تلك الحواجز التى تقوم بين الرجال

والسيدات ؟ إنه اذا أضيف جمال العقل الى جمال الجسم بلغت الحياة مثلها الرفيع وكل من يزعم غير ذلك إنما يتجنى على طبائع الأشياء .

إنه ليدعو الى السخرية ما قالته إحدى الصحف من أن النساء اللائى كوّن تكويناً عادياً وهن على شيء من الجمال لم يخلقن للعمل فى محيط السياسة والسلك السياسى ولا جعلن لأن يكن قائدات وضابطات !

ان من يقول هذا القول ينسى التاريخ ونصفه للمرأة وذكائها ، ينسى كليوباترة تلك السياسية والدبلوماسية التى فاق جمالها كل جمال ، وجان دارك تلك المحاربة اللطيفة الساحرة ، وشجرة الدر التى أنقذت مصر يوم تحزب الأمر فيها ، والأميرة نازلى التى كان بيتها صالوناً ، يكفيه فخراً أنه خرج سعد زغلول يقود أمة ويسعد شعبا ، وفى التاريخ من أمثالهن ما يصعب حصره فى هذه الرسالة القصيرة وحسبنا أن نشير الى نصيب المرأة فى هذه الحرب التى اصطلت نارها فى المشافى والميادين بل اقتسمت مع الرجل بلاءها وأرزاءها وحرمت صغارها وحياتها الرتيبة الهادئة ونزلت الى الكفاح فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأدت بذلك رسالة حية ستبقى على الزمن عنوانا لبطولة المرأة وشجاعتها .

وبالرغم من أن ثقافة معظم المصريين المتعلمين متأثرة أشد التأثر بالثقافة الفرنسية ، وبالرغم من أن كثيراً من مظاهر حياتنا الاجتماعية منقول عن مظاهر الحياة الفرنسية الاجتماعية ، فإنا لا نجد فى ظروفنا الحاضرة مثلا أرفع من مثل الانجليزية المثالية التى نرجو أن نخطو فى نشاطنا النسائى على نهجها وهداها .

فالمرأة الانجليزية سيدة عركها الزمن واستحقت مكانها فى حياة بريطانيا العظمى بجدارة تحسدها عليها بنات جنسها جميعا ، إنها سيدة بيت من الطراز الأول ، يعرف ذلك كل من عاش فى انجلترا ونزل ضيفا فى أسرة صغيرة أو أسرة كبيرة ، إنها قد تملك من المال ما يهيء لها وسائل الراحة المطلقة بيد أنها تأبى على الطباخ أن يستبد بطعامها فترقبه من بعيد أو قريب ، وتأبى أن يتحكم ذوق الخادمة أو الخادم فى تنظيم البيت ورعاية شئونه فتوحى إليها أو إليه بذوقها البديع فى كل صغيرة وكبيرة ، وهى لا تلتمس حسنها فى طلاء أو لباس بل تأخذه من نفسها وقلبها وتعلنه للناس مثالا للحسن الانجليزى على مدى الأجيال .

وهى أم مثالية بين الأمهات ، لا يبدو طفلها مهما يرق حالها قذراً أو ممزق الثياب لأن وظيفة الأم عندها رعاية للابن الممثل فيه الجيل الجديد ، جيل انجلترا الذى ينبغى أن يحافظ على تقاليد تلك الأمة وفى مقدمتها تربية الطفل تربية تليق بعظمة بريطانيا ، وهى تنشيء ولدها أسوة وقدوة ، فلا يكذب ولا ينافق ولا يخاف ولا يجبن فيشب مواطنا يعرف مقامه فى الدنيا ، وحسبه هذا المقام الذى يشغله الانجليز منذ مئات السنين .

وهى إذا أعطت بيتها وولدها ما ينبغى لهما من الرعاية لم تنس زوجها وتقديره ، فهى ترعاه رعايتها لنفسها ، فتجعل من بيتها جنة تحبيه

فى البيت وصاحبته وتلازمه روحا طوافا تسعد بسعادته وتشق بشقائه فهى إلى جانبه إذا حزب الأمر ودقت المواقف تقاسمه ضراءه كما تقاسمه سراءه ، وهكذا أصبحت انجلترا بيوتا متآلفة وأسرا متجانسة لأن المرأة الانجليزية تعلمت وتثقفت كزوجها تماما فكانت لها الحقوق التى له وكانت عليها الالتزامات التى عليه .

وهى إذا فرغت من بيتها وابنها وزوجها ساهمت مساهمة الأصيل فى الحياة الاجتماعية العامة فنزلت كملاك الرحمة فى ميادين النشاط الاجتماعى فواست الفقير وآست المريض وأعطت من نفسها لغيرها ولم تترك عاريا من غير كساء وأبت أن يجوع انجليزى فاقتسمت مع الجائع لقمتها ، واحتملت أسرتها الضريبة تلو الضريبه فى سبيل الفقير المحتاج .

وهى إذا أدت واجبها الاجتماعى فى البيت والمؤسسات العامة وحالفت زوجها على الخير والشر وقامت بالتزاماتها جميعاً طالبت بحقوقها السياسية فلم يأب الرجل عليها تلك الحقوق وناولها ما تريد فى ثقة بها واطمئنان لها لأن من يعرف واجبه لا يحرم حقوقه .

وقد أثبتت التجارب جدارة المرأة الانجليزية فى أقسى الظروف وأعنفها فكانت حجر الزاوية فى احتمال بريطانيا نكبات الطائرات الالمانية وهى تصب حممها على بلادها وعاصمتها خاصة فى خريف سنة ١٩٤٠ ، ولم تحتمل المرأة الإنجليزية هذا العذاب الذى لا تطيقه الأنثى مهما ترتفع نفسيتها فحسب بل ساهمت فى رفع الأذى والتخفيف

عن المصابين وقامت بأعمـــال الانقاذ وبعضها عنيف لا تحتمله غير سواعد الرجال .

ولم تقصر المـــرأة الانجليزية جهدها على الكفاح فى سبيل الديمقراطية والمثل العليا داخل بلادها فحسب بل خرجت إلى ميدان القتال محاربة فى الصحارى والأدغال وسفير رحمة لكل جريح أو مريض ، وخلقت برقتها وأنوثتهـــا بلسما لعنف الحرب ودقة الحال واحتملت بعد الزوج وكبت عاطفة الشوق إلى أطفالها وبيتها وعالمها الانجليزى الرفيع .

وقد تأثرت المرأة الانجليزية فى ذلك كله ملكة انجلترا التى راضت نفسها فى الحرب على أن تحيا فى الحدود التى تحياها أية أسرة انجليزية أخرى ، ونزلت جلالتها إلى ميدان الخدمة الاجتماعية فواست الجرحى ورأست الجماعات المختلفة للترفية عن الجنود كما كانت تأسو جراح المعوزين فى السلم .

وبعد فنحن نضرب المثل بخير مثل ، ونتخذ من ذلك حجة لنا على أن المرأة التى تتعلم وتثقف تعرف واجبها نحو بيتها وزوجها ، وأولادها وبلادها ، وأنها تصبح عضـــوا له أثره الخطير فى تكوين الجماعة والارتفاع بها إلى المستوى اللائق بالشعوب الكريمة والأمم الأصيلة فلنأخذ القدوة من أهل القدوة وليكن فى السيدة الانجليزية وعلى رأسها ملكة انجلترا مثالا لنا فى كفاحنا من أجـــل السيدة المصرية ونصيبها فى الحياة

الفصل السابع

أعمال الأميرات
وخاصة السيدات

إذا كان من الحقائق الواقعة أن المرأة خلقت لتفعل الخير قبل كل شيء وتبسط يدها لكل متألم وتعطف على المساكين فان صاحبة السمو الأميرة شيوه كار تمثل هذه الحقيقة فى أروع صورها بما يغمر قلبها من جود واخلاص وهى رمز للمودة ولمحبة الآخرين والمثال الطيب لما يمكن أن تبلغه المرأة من رقة وحنين فقد طغت الملاريا على صعيد مصر وجلبت معها البؤس والمرض فقامت الأميرة شيوه كار تعطف على المنكوبين وتواسى البائسين المحرومين وتثير شعور العطف والإحسان فى جميع القلوب ، وهى فضلا عما تقدم توقظ فينا الهمة وتوجه نظرنا إلى شئون اجتماعية كبيرة الأهمية ، وقد ذكرنا عطفها الفعلى على الفقراء بوجوب القيام بواجبنا نحوهم وأنه لا يحق لنا أن نتناساهم ، ولا شك فى أن الواجب الذى فرضته على نفسها لمعاونة المعوزين بعد ما أبداه صاحب الجلالة الملك من العطف عليهم والمساعدة لهم لمثل يستحق الاعجاب

ونحن نرى لالتفاتتها الجميلة معنى أكبر من هذا إذ أن مصر فى هذا الوقت فى حاجة إلى المعونة ، وقد نبهت الأميرة أغنياءنا وجميع من فى وسعهم خدمة مواطنيهم إلى ما يجب عليهم تقديمه من المساعدة لمن حرموا نعمة المال .

يجب أن نفكر دون تسويف فى المستقبل وأن نستأصل من أمتنا الداء ولا بد لنا من البدء بالأساس إذا أردنا أن نتفادى الأمراض والآلام والبؤس ، ولا تكون أمتنا أمة بالمعنى الصحيح إلا عندما ترتقى عندنا الأمهات ويصبحن جديرات بلقب الأمومة قادرات على تعليم أطفالهن واجباتهن فى الحياة ، ولا يكفى أن توجد الأمومة الصالحة فى الطبقة العليا بل يجب أن ترتقى الأمهات فى جميع طبقات المجتمع المصرى وأن يتسع نطاق النهضة النسوية فى مصر حتى تشمل العاميات وهن الأكثرية الساحقة فى هذا البلد .

ويستنتج من ذلك أن أمتنا ليست متجانسة وينقصها التآلف والاتحاد وهو ما نحتاج إليه لإزالة الفوارق بين تلك الطبقة العالية وعامة النساء فى البلاد ، وفى وسع المرأة الراقية وحدها أن تزيل هذا العيب وعليها تقع تبعة القيام بهذا الواجب

إذا نحن وجدنا الآن أمهات فسنجد فى المستقبل رجالا وحينئذ تكون لنا أمة قوية ، لتقم نخبة النساء فى مصر موحدة الجهود لإنقاذ فتيات الأزقة من التشرد فان الطفولة التى لا تقترن بقليل من الأمل والسعادة

تسعى فى الدنيا وكلها يأس ومرارة ولا تقدم للبلاد إلا إذا اقترنت رغبة المصلحين بالسعى إلى اصلاح هذا الأساس .

ولقد حان الوقت لتثقيف بنت الشعب وتمدينها والاهتمام بها بصفة عامة والطريق معبد للعمل والجد والنشاط وأمامنا من صاحبة السمو الأميرة شيوه كار المثال الحى الجميل . فقد بدأت سموها مكافحة الجهل والمرض والبؤس بصورة جديدة فى جمعية مبرة محمد على التى تترأسها ، وقد أثار هذا العمل حماسة الشعب وتقديره وخاصة بعد أن أحس أياديها بعد فترة قليلة من الزمان وهى دائبة السعى للقضاء على المرض والفقر سواء كان ذلك عن طريق مبرة محمد على أو عن طريق جمعية الهلال الأحمر التى لها فيها نصيب يعلو على كل نصيب .

ولهاتين الجمعيتين مزية خاصة هى أنهما تعملان تحت اشراف بعض الشخصيات الكبيرة ولا يجرى العمل فيهما تحت ضغط الواجب بل يقوم بدافع الميل الخالص الذى لاتشوبه منفعة شخصية وفى مثل هذا المحيط توجد قلوب كبيرة وحب عظيم للخير .

لقت وضعت الأميرة عين الحياة الحجر الأول فى بناء مبرة محمد على فى سنة ١٩١٠ فكانت أول شعلة لعمل خيرى أخذ يتقدم يوما بعد يوم فى جو من العطف والثقة والاطمئنان ، وقد أنشىء لها فى البداية مستوصف فى شبرا فكان البائسون يلقون فيه العناية والعلاج .

ثم أنشئت مستوصفات أخرى وأخذت تلك المنشآت تزداد وتتسع

مع مرور الوقت وقد أعد مستوصف فى عابدين وآخر فى مصر القديمة لمعالجة الفقراء وأنشىء مستشفى يحتوى على ٦٠ سريراً لإيوائهم وعيادتان تعالجان نحوا من ثلاثة آلاف شخص فى اليوم الواحد دون مقابل ، ومنذوقت قصير أنشىء للجمعية مستشفى جديد ، وهكذا نرى هذه المنشآت يزداد عددها شيئا فشيئا لسد الحاجة الملحة فى كل حي من أحياء القاهرة

وكان عمل مبرة محمد على فى دفع نكبة الملاريا التى حلت بصعيد مصر أكبر عمل قامت به وأدى إلى نفع عظيم ، وقد ضربت سمو الأميرة شيوه كار المثل الأعلى للاخلاص الصحيح فهى لم تكتف ببذل المال للفقراء بل ذهبت بنفسها إلى الصعيد تواجه المرض فى كل مكان مشرفة على مقاومته وإنقاذ ضحاياه فنبهتنا بهذا إلى أن أول شرط للجود والعطف هو أن نقدم أنفسنا لأداء الواجب ، وقد تقدم للمعاونة كثير من المتطوعين وكانت مركبات السكة الحديدية تحمل لفقراء الصعيد الملابس والأغذية والأدوية وغيرها فكان ذلك كفاحا عنيفا ضد المرض بفضل هذه الأميرة صاحبة الأيادى البيض على الفقراء والمعوزين .

وقد قامت الأميرة تنادى ذوى المروءة للعمل فتردد صدى النداء فى مصر كلها وهذا دليل على ماتستطيع الشخصيات البارزة فعله فى جو من الاخلاص والنظام فهى تستطيع أن تسعف البائسين وأن تبنى للمستقبل وأن تذكى شعلة الأمل والرجاء فى نفوس المحتاجين ثم أنها بهمتها هذه ضربت المثل وأعلنت القدوة ، وفعل الخير يلد غيره كما يقولون

فاذا كانت السيئات فى المجتمع المصرى لاتزال جسيمة والحالة تدعو إلى استجداء المعونة من الشخصيات الكبيرة لمقاومتها وكبح جماحها فان العاملين والعاملات فى هذا السبيل يجدون فى أمثال الأميرة العظيمة ما يحقق الأمل ويجب أن يقال إن مبرة محمد على وجمعية الهلال الأحمر هما ثمرة مرحلة كبيرة فى تاريخ مصر الحديثة لأن كلا منهما تخدم مصر وتعد الطريق للذين يريدون خدمتها .

وأنشئت كذلك جمعية سميت جمعية المرأة الجديدة ، أنشأتها السيدة شريفة رياض هانم سنة ١٩١٩ بمعونة بعض سيدات من الطبقة الراقية بقصد رفع مستوى المرأة فأخذت تحتضن الفتيات بين الثامنة والثامنة عشرة من العمر فتعلمهن القراءة والكتابة والتطريز والخياطة وصنع السجاد وما إلى ذلك .

ويجدر بنا أن نقول إن هذا العمل وصل إلى غايته لأن المعرض الذى أقيم فى سراى سمو الأميرة شيوه كار رئيسة تلك الجمعية منذ ذلك العام كان يشمل معروضات قيمة من صنع الفتيات تدل على كثير من الدقة وحسن الذوق ، وقد لاحظ من شاهد ذلك المعرض أن فيه علائم النهوض والنفع وأنه مثل طيب للخدمات العامة التى تؤديها خيرة سيدات مصر

وإن دل ذلك على شىء فأنما يدل على أن السيدة المصرية المتعلمة قد بدأت تساهم فى خدمة المجتمع المصرى بخدمة بنات جنسها والترفيه عنهن

فى أمراضهن أو فى جهلهن ، لأن من مقومات نهضة هذا المجتمع أن يوجد هذا التجاوب الرفيع بين الغنيات والفقيرات وبين المتعلمات والجاهلات وبين الصحيحات والمريضات

وهناك بعض سيدات كريمات فى مقدمتهن السيدة قوت القلوب هانم الدمرداشية التى وظفت جانبا من مالها فى سبيل العلم وعطفت على رجاله بالتأييد الأدبى والمادى بجانب نشاطها الخاص فى الكتابة والتأليف

الفصل الثامن

الاتحاد النسائى

السيدة هدى هانم شعراوى من الشخصيات البارزة فى البيئة المصرية ومن السيدات اللواتى يطيب لهن الكفاح فى سبيل ادراك الأهداف الرفيعة ، لها ارادة صلبة إذا ما وضعت هدفا نصب عينيها عملت على تحقيقه مهما يكلفها الأمر من مشاق ومهما تصادف من مصاعب وعقبات

وأخص أهدافها انهاض المرأة المصرية ورفع شأنها وتمكينها من ادراك حقوقها وواجباتها ، وهى من أجل ذلك انشأت الاتحاد النسائى المصرى .

وقد كافحت فى هذا السبيل أشد الكفاح ولاسيما أن المرأة المصرية كانت لا تزال محجبة ولم تكن لديها فكرة واضحة عما يجرى فى العالم الخارجى وكانت مصر خاضعة لآراء قديمة بالية وتقاليد يصعب التخلص منها أو القضاء عليها ، فكانت هدى هانم تحارب جميع هذه الآراء والتقاليد وتخوض غمار معركة حقيقية بل غمار حرب شعواء بين شتى العواطف والأفكار المتباينة .

وقد خرجت من هذه المعركة ظافرة بعد أن حطمت سلاسل الجهل الذى كان مخيما على حياة المرأة وكان كفاحها موجها إلى بعض التقاليد التى ليست لها أسانيد صحيحة من التاريخ أو الدين وإلى مظاهر الخمول التى تنتاب حياة النساء وإلى التحيز الذى أنصف الرجل وهون من شأن المرأة وإلى ضعف الفهم والادراك عند بعض الخاصة والعامة جميعا ، تلك حرب مكشوفة شنتها على الذين ينظرون إلى الوراء لا إلى الأمام وقد دافعت بعد قاسم أمين بشجاعة واخلاص عن قضية المرأة المصرية خاصة والشرقية عامة .

عند ما ارتفع صوت قاسم أمين للدفاع عن المرأة استهدف للنقد العنيف بل للسخرية وقد هاجمه الجميع من كل صوب وحدب بيد أنه لم يضعف أو يتخاذل بل تمسك برسالته ومضى قدما مثالا رائعاً للارادة الصلبة وما تستطيع أن تفعله هذه الارادة .

ثم أخذت نخبة من السيدات المصريات تستيقظ من سباتها العميق وكل منهن تدرك شخصيتها وكيف كانت وكيف يمكنها أن تكون ، وأن تطالب بحرص ودأب بما لها من حقوق .

وقد نتجت هذه الحركة الاجتماعية من جهود غامضة متفرقة فى بادىء الأمر وكانت المرأة تشعر بالاضطهاد وترغب فى مقاومته ولكنها لم تكن تدرك حقيقة آمالها ومدى تلك الآمال .

فلما ظهرت هدى شعراوى بشخصيتها القوية أخذت ترشد النساء

إلى الطريق القويمة مقتدية بقاسم أمين وأنصاره وطفقت تعمل على إزالة الحواجز والتغلب على العقبات غير مكترثة بما تسمعه من ذم ونقد ولم يقم فى سبيلها عائق يحول دون بلوغ غايتها وهى إنهاض المرأة المصرية ولم تحجم عن بذل أى مجهود أو تضحية للوصول إلى الهدف الرائع الذى وضعته نصب عينيها ، وكانت السيدة سيزا نبراوى هانم خير معين لها فى القيام بهذه المهمة العظيمة.

* * *

وقد انشأت السيدة هدى الاتحاد النسائى ١٩٢٣ فغدا هذا اليوم من الأيام الغر التى لا تنسى فى تاريخ تقدم المرأة وفى تاريخ مصر نفسها إذ برزت فيه المرأة تطلب حقوقها بقوة وحزم عاملة لنفسها بنفسها وتلك هى فاتحة النهضة العملية الجديدة

لقد كان ممكنا أن يتم تحرير المرأة فى مصر كما تم فى تركيا حيث أصدر كمال أتاتورك أمرا يقضى بأن تنزع النساء التركيات الحجاب وأن يتعلمن ويتحررن من قيود التقاليد القديمة البالية فنفذ ذلك الأمر وإذا بالمرأة التركية تنتقل بين عشية وضحاها من الحريم إلى الحياة العصرية وقد قامت هى بطبيعة الحال بنصيبها من الجهد فى هذا السبيل ولكن الطريق كانت قد مهدت أمامها فسارت فيها فى ثقة واطمئنان وأغناها أمر الحاكم عن محاربة الرأى العام جميعا .

أما الحال فى مصر فكان يختلف أشد الاختلاف مع ما كان فى

تركيا إذ نالت المرأة المصرية استقلالها بفضل ما أظهرته من الارادة القوية وما قامت به من الكفاح الشديد فهى لم تفز بما فازت به من غنم إلا بعد أن جاهدت للتغلب على كل فكرة بالية وكل تقليد سقيم .

وهذا الاتحاد النسائى الذى قام منذ أكثر من عشرين عاما بوضع الحجر الأساسى فى بناء تحرير المرأة وكان باكورة نهضتها الصحيحة لا يزال يواصل العمل لتحقيق أغراضه والوصول إلى جميع أهدافه .

وكان أول ما قام به هذا الاتحاد فى بداية عهده أنه وضح موقفه وحدد مطالبه ، وكانت هذه المطالب تتفق ومقتضيات المجتمع فى ذلك الوقت وكانت سعادة الأسرة فى مقدمة الأغراض المنشودة إذ كان الشبان المصريون فى تلك المرحلة من مراحل التطور الاجتماعى قد ارتقوا إلى حد معين من الثقافه ونهضوا نهضة نسبية لاتقابلها نهضة مثلها عند السيدات ، وذلك أدى إلى شىء كثير من سوء التفاهم بين الزوج والزوجة فى هذا المحيط إذ كان يندر أن تجد سيدة ترقى إلى مستوى الرجل وتشاطره آراءه وتقوم بتربية أطفالها تربية صالحة ، ولذلك كانت الأسرة مفككة الأواصر .

وقد وجهت السيدة هدى جهودها الأولى إلى البحث عن وسيلة صالحة لاحلال روح التفاهم والتضامن بين الرجل والمرأة من الناحيتين الفكرية والأدبية لأن ذلك يسهل حل ما تنطوى عليه المسألة من مشكلات اجتماعية وهذه هى النقطة الأساسية التى تدور حولها جميع المطالب الأخرى

ولم يكن فى ذاك الوقت حد أدنى لسن الزواج فيما يختص بالفتاة المسلمة فكان الآباء الجهلة يزوجون بناتهم صغيرات جدا وكان كثيرا ما يؤدى ذلك إلى نتائج مفجعة

وقد طلب الاتحاد النسائى أن يكون الحد الأدنى لتزويج الفتاة من حيث العمر ست عشرة سنة وتيسر له تحقيق هذا الطلب فى عهد حكومة يحيى ابراهيم باشا

* * *

وحدث بعد إنشاء الاتحاد النسائى بفترة قصيرة أن عقد فى روما فى شهر مايو سنة ١٩٣٣ مؤتمر نسائى دولى اشترك فيه عدد من السيدات يمثلن ٣٦ بلدا بينها مصر وكان وفد مصر فيه مؤلفا من السيدات هدى شعراوى والآنسة سيزا نبراوى والمربية نبوية موسى .

ثم انضم الاتحاد النسائى المصرى الى الاتحاد النسائى الدولى فصار له طابعان ، طابع وطنى وطابع دولى

وكان من بواعث الفخر والارتياح للمندوبات المصريات فى مؤتمر روما أن رأين العلم المصرى يخفق على داره إلى جانب أعلام الدول الأخرى وكان ظهور الهلال بجانب الصليب على تلك الأعلام خير دليل على زوال كل تعصب دينى

* * *

وقد كان برنامج الاتحاد النسوى يشتمل على مسائل شتى تتعلق

بجميع نواحى النشاط الاجتماعى وذلك دعا إلى الالتجاء إلى الاخصائيين من رجال القانون والدين والتعليم والاجتماع وغيرهم لابداء آرائهم فى مختلف الأمور فأنشئت لهذا الغرض لجنة استشارية من رجال أكفاء أبدوا كل اهتمام بشئون المرأة وفى مقدمتهم محمد على علوبة باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا وحسين هيكل باشا ومراد سيد احمد باشا ومحمد زكى على بك والدكتور طه حسين بك والدكتور منصور فهمى باشا وأنطون الجميل بك والعمروسى بك ومحمد شاهين باشا وعلى عمر بك وابراهيم الهلباوى بك .

وقد أخذت أبواب التعليم تفتح شيئاً فشيئاً أمام البنات وغدت الفتاة تظهر مقدرة وكفاءة فى تحصيل العلم مما كان أكبر مشجع على زيادة عدد مدارس البنات فى جميع بلاد القطر المصرى ثم اتجه الرأى إلى إيفاد الطالبات إلى أوروبا فساعد ذلك على عودتهن بأفكار وآراء جديدة مختلفة ، وكان الدكتور طه حسين بك فى مقدمة المشجعين على توجيه التعليم النسائى هذه الوجهة .

ولقد وضع للتعليم النسائى فى مصر إحصاء خاص أظهر مسافة الشوط البعيد الذى قطعته الفتاة المصرية فى هذا السبيل فى ١٥ عاما ، ففى سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ كانت نسبة عدد التلميذات إلى عدد التلاميذ ١٨,٢٤ ٪ وفى ١٩٣٠ — ١٩٣١ ارتفعت هذه النسبة إلى ٢٤,٤٧ ٪ وفى ١٩٣٣ — ١٩٣٤ ارتفعت إلى ٢٧,٢٤ ٪ ، وفى ١٩٣٦ — ١٩٣٧

ارتفعت إلى ٣٤,٩٣ ٪ وفى ١٩٣٩ – ١٩٤٠ ارتفعت إلى ٣٨,٩٧ ٪

* * *

وفى سنة ١٩٣٣ احتفل الاتحاد النسائى بالباكورة الأولى للطالبات المتخرجات فى جامعة القاهرة فشجع ذلك عدداً كبيراً من الفتيات على تقييد أسمائهن فى الجامعة ، وفى ذلك الوقت برزت بضع فتيات ناجحات يلفتن الأنظار كانت هدى شعراوى هانم تشجعهن على طلب العلم فى جامعة القاهرة وفى جامعات انجلترا أو فى السوربون فى باريس كما ظهر بجانبهن بعض الفتيات المتفوقات فى ميادين الفن المختلفة كالموسيقى والغناء والرسم والتمثيل.

* * *

وكان الاتحاد النسائى قد رأى إنشاء مدرسة لتعليم الأمهات الفقيرات المبادىء الصحية الأولية ولكن هذا المسعى لم ينتج نتيجة ذات شأن إذ كان من الصعب تدريب الأمهات المتقدمات فى السن على اقتباس عادات جديدة ، فوجه اهتمامه إلى الفتيات وأنشأ لهن مدرسة نهضت بمهمتها وغدت تنتج خير النتائج .

* * *

واهتم الاتحاد النسائى أيضا بالناحية الأدبية من الحياة القومية فطالب بتعديل نظام الطلاق بحيث لا تتاح للرجل فرص كثيرة لمعاملة الزوجة معاملة غير عادلة وحاول الحد من نظام تعدد الزوجات فى مصر

فى مصر وأخذ يسعى للقضاء على بعض المعتقدات الشعبية المصرية بترقية الحياة الاجتماعية وهو يبحث كذلك فى أمر مقاومة التشرد وتحسين حالة الأطفال المشردين .

* * *

ثم شجع الاتحاد تعليم البنات فى الخارج وأوفد فى سنة ١٩٣٦ إلى بلجيكا وتركيا بعثة مؤلفة من ست فتيات نصفهن الى بليجيكا والنصف الآخر إلى تركيا للتخصص فى التدبير المنزلى على نفقته وحصلت الفتيات الست على خير النتائج .

* * *

وقد اشترك الاتحاد بين سنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٩ فى عشر مؤتمرات دولية وجعل مصر على اتصال دائم بالغرب وعقدت هذه المؤتمرات فى العواصم والمدن التالية .

١ — فى روما سنة ١٩٢٣
٢ — فى جراتز سنة ١٩٢٥
٣ — فى باريس سنة ١٩٢٦
٤ — فى امستردام سنة ١٩٢٧
٥ — فى برلين سنة ١٩٢٩
٦ — فى مرسيليا سنة ١٩٣٢ (وقد طولب فيه بحق الفرنسيات فى الانتخاب) .

٧ — فى استانبول سنة ١٩٣٥
٨ — فى بروكسل سنة ١٩٣٦
٩ — فى بودابست سنة ١٩٣٧
١٠ — فى كوبنهاجن سنة ١٩٣٩

وكان من نتائج هذا الاتصال المستمر بين مصر وأوربا أن أصبحت المرأة المصرية أكثر تقديرا لقيمتها الذاتية من الناحيتين الاجتماعية والأدبية ولمدى حقوقها وواجباتها ولمسؤوليتها كزوجة وأم

وأدى توثيق الروابط بين المرأة المصرية والعالم المتمدين إلى ميل المرأة إلى التعليم ومكن فى نفسها حب الاستقلال والرغبة فى إفادة المجتمع فأصبحت مخلوقا آخر يختلف كل الاختلاف عن المرأة فى العهد السابق .

وتستطيع وفاقا لما تقدم أن ترى مدى نهوض المرأة بفضل جهود الاتحاد النسائى وإذا كانت عامة النساء المصريات لم تبلغ بعد المستوى الذى بلغه الفريق الناهض منهن فان هذه النخبة بات فى وسعها أن تقود النساء وأن ترفع مستواهن ، وقد أصبحت لها أهمية كبيرة بمصر إذ أخذت على عاتقها أن تنشر المدنية الحقة بين عامة المصريات .

وكان من نتائج تشجيع الاتحاد النسائى لتعليم البنات بوجه عام أن أصبح بينهن الآن عدد غير قليل من المدرسات والمربيات والطبيبات ،

والفنانات والأديبات ، وبلغ بعض هؤلاء السيدات مستوى فكريا واجتماعيا يضاهى مستوى أعلى النساء ثقافة فى أوروبا وأمريكا ، وقد غدون يألفن العمل وأكثرهن يتولى مناصب ذات أهمية فى مختلف دوائر الحكومة وغيرها .

وهكذا انتقلت المرأة المصرية فى بضع سنوات من بين جدران الحريم إلى الحرية الكاملة فباتت مثالا لنشاط لا حدله ولنضال لم يسبق له مثيل فى مصر .

الفصل التاسع

واجبات صفوة النساء فى مصر

كثيرا ما فكرنا فى تلك الهوة العظيمة الفاصلة بين صفوة نسائنا والمرأة الفقيرة ويخيل الينا أننا من هذه الناحية أشبه بآلة كبيرة غير منسجمة الأجزاء فقد اقتصر تطورنا على الطبقة العليا دون الطبقة العامة على أن هذه الطبقة هى قوام كل مجتمع وخاصة المجتمع النسائى إذ أنها تشمل الأغلبية العظمى للأمهات المصريات ولذا كان واجبا علينا أن نوجه إلى تلك المشكلة كثيرا من اهتمامنا .

ومما يثير النفس ما نراه من الفرق الكبير بين تطور صفوة النساء عندنا إلى أبعد حد وبين البؤس الشديد الذى يحيق بباقى النساء ، وهذا التباعد بين الطبقتين يجعل المرأة المثقفة نفسها تشعر بأنها مقيدة مغلولة اليدين إذ يحيط بها ألوف من النساء لا يزلن فى طورهن الأول .

وقد حان الوقت لملء تلك الهوة والعمل على تقريب المسافة بين الطبقتين وعلى المرأة المتعلمة أن تسعى للاصلاح حتى لا تتهم بحب الذات ، ولقد بدأت بعض سيدات الطبقة العليا فعلا بالاصلاح كما يجب

فأقدمن على كثير من التضحية فى هذا السبيل ، ويجب أن يذكر لهن هذا المجهود ويسمع لذكره صدى فلتردده جميع زميلاتهن من ذلك الوسط الراقى وليشتركن متعاونات فى انقاذ بنات وطنهن فعليهن حمل هذه التبعة لأنه يعسر على المرأة الفقيرة أن ترتفع بنفسها ولأن الحكومة تحمل كثيرا من أعباء الأعمال الأخرى وهى إلى حد بعيد منصرفة عن شئون أولئك الفقيرات التعسات ، وإذا نحن أنقذنا جيلا واحدا تيسر لنا إنقاذ أمهات المستقبل كله ، وبمعنى آخر أنه يجب علينا أن نحل مشكلة انحطاط الطبقة الفقيرة مهما يكلفنا ذلك من جهد ومهما تجابهنا الصعوبات

يتساءل البعض كيف نؤدى هذا الواجب والأمر يدعو لا إلى إنقاذ عشرة أو عشرين من النساء بل إلى إنقاذ الآلاف والملايين منهن ، ويقولون كذلك إن مثل هذه القضية تتطلب إنفاق الكثير من المال فأين نجده ؟

لقد فكرنا فى أولئك البنات الصغيرات اللاتى يطفن فى الشوارع من غير أمل ولا هدف ولا شعور بسعادة ، فكرنا فى أمر تشردهن وفى حداثتهن التعسة وفى أن طفولة محرومة من الشمس مثل هذه الطفولة تنتج على مر الزمن أمهات غير صالحات للأمومة .

لقد حان الوقت للإصلاح وفى استطاعتنا أن نبدأ بانشاء معاهد تضم أكبر عدد ممكن من هؤلاء البائسات الصغيرات وينبغى أن نتسلمهن وهن بين السادسة والسادسة عشرة من العمر وهى السن التى

يبدأ فيها تكوينهن والتى يشعرن فيها شعور الادراك ، وبطبع خلقهن بطابع ثابت لا يتغير مهما تظل أعمارهن ومهما يجد لهن من أحداث الحياة ، إننا نعلمهن أولا حب النظافة والنظام ، ونعلمهن القراءة والكتابة وأشغال الإبرة والعناية بالصحة وإدارة البيت وسيكون هذا التعليم بداية للعمل ولا يخفى أن الخطوة الأولى عظيمة القيمة .

لنبدأ عملنا فى القاهرة ثم ننتقل بعد ذلك إلى المدن فالقرى الكبيرة فغيرها من بلاد الريف ولنحاسب أنفسنا بعد عام أو عامين فسنجد أن النهضة شملت آلافا من الفتيات وسيطمعنا النجاح فى الكفاح فنصل فى فترة قصيرة إلى القضاء على هذا اللون من التشرد الذى يقضى على النفس والجسم معاً .

وإن مشروعا كهذا إذا أمكن تحقيقه فى مصر كلها أنقذ كثيرات من الفتيات اللاتى لا مأوى لهن . وكان سبباً فى إسعاد عدد من الناس لم يكن هناك أمل فى إسعادهم وهو عمل من أنبل الأعمال .

ولا بد أن يلاقى المشروع بعد تنفيذه صعابا عملية جسيمة وخاصة من الوجهة المالية ولكن يلوح لنا أنه فى مقدورنا أن نتغلب على هذه الصعوبة ، والأمر ينحصر فى أن نريد وأن نعد أنفسنا للعمل ، أما فيما يختص بالوسائل فيسير المشروع على حسب منطق الظروف وفاقا لتلك الإرادة وذلك الاستعداد .

* * *

يجب ألا نتأخر فى التفكير فيما تتطلبه قوة الإرادة من المجهودات لأننا لا نستطيع الوصول إلى مدنية حقيقية قبل أن نملأ تلك الهوة الفاصلة بين طبقتنا الاجتماعية ، وما من علاج لإزالة ذلك العيب سوى تعليم أكبر عدد من أمهات المستقبل على أساس ثقافى متين .

وقد قام ذوو الشأن بمجهود من هذا النوع فى سنة ١٩٣٠ حين أنشأ صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا جمعية صغيرة يلجأ اليها أبناء السبيل فينصلح حالهم اجتماعياً وأدبياً ، وقد فكر بعضهم فيما بعد فى أن يجمع أخوات أولئك الصبية الصغار أيضاً ويلقنهن مبادىء الصحة والحياكة وغير ذلك .

وفى سنة ١٩٣٩ أشرفت على تلك الجمعية إحدى المؤسسات الاجتماعية فى القاهرة وأصبحت تضم خمسين فتاة من حى السيدة زينب تقوم نخبة من الناس بتعليمهن القراءة والكتابة وأعمالا مختلفة كمبادىء الخياطة والنسج اليدوى وبعض الموسيقى والرياضيات

تأتى الفتيات إلى الجمعية فى الساعة الثامنة صباحا ويتعلمن فيها حتى الظهر وقد قسمن من حيث النظام إلى فرقتين وقسمت كل فرقة إلى فصلين ويعهد إلى فتاة متفوقة منهن فى إرشاد زميلاتها وملاحظة نظافتهن وهندامهن ، وهكذا يصبح للفتاة هدف فى حياتها فتشعر بضرورة العمل المنتج والانتفاع بكل دقيقة من الوقت وأنه يجب ألا تطوف فى الشوارع وألا تبقى بلا عمل .

وعلى هذا الوجه تكون الجمعية قد كوّنت شخصية ما يقرب من خمسين حياة جديدة باتت لكل منها قيمة ومعنى وهذا يوصلهن للأمومة الصالحة فى المستقبل فتصبح من صفات الأم أن تشعر بقيمة مهمتها وبالمسؤولية الملقاة على عاتقها كربة بيت ، وحينئذ فقط تستطيع أن تربى أطفالا يمكن توجيههم إلى العمل ، هذا ما نقوله الآن عن خمسين فتاة وأمامنا ثمانية ملايين من النساء يحتجن إلى مثل هذه المساعدة

لقد كان من حسن حظ الفتيات الخمسين المشار اليهن أن وجدن من يسعى إلى إنقاذهن بارادة صادقة فمن لنا بمن يتقدم لإنقاذ الملايين الثمانية من أمثالهن ، ليس فى وسع مدرسة الخدمة الاجتماعية أن تنقذهن جميعا ولكن هذه المدرسة غدت مثالا لما تقوم به صفوة نسائنا من جليل الأعمال فى مثل هذا السبيل وها هى ذى فتيات حى السيدة زينب يتحدثن عن جمعيتهن بشىء من الفخر فلا تغنين أغنية صغيرة دون أن يرد فيها ذكرها وتمجيدها .

لم لا يمتد هذا النوع من الإصلاح إلى الأحياء الأخرى فى القاهرة ثم إلى غيرها من المدن الكبيرة ؟ فى كل حى من المدينة توجد سيدة غنية بل سيدات موسرات يستطعن الاشتراك فى هذا العمل متعاونات فى سبيل الخير لخدمة مصر وهكذا تقوم فى كل حى من كل مدينة مصرية جمعية من هذا الطراز غرضها إنقاذ فتيات الشوارع وبهذا يزول البؤس ويمحى من بين المجموعة الكبرى من فتيات مصر .

النشاط النسائى فى عشرين عاما

كلمة صاحبة العصمة هدى هانم شعراوى
فى الاحتفال بالعيد العشرينى للاتحاد النسائى

حضرة صاحب العزة مندوب حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

بقلب ملؤه الاخلاص والولاء لصاحب العرش المفدى الذى تفضل فشمل برعايته السامية هذا الاحتفال أتقدم بخالص الحمد إلى سدته العلية ضارعة إلى المولى عز وجل أن يحفظ ذاته الكريمة رمزا لأمانى مصر العزيزة وحصناً للوطن ، وأن يوفقنا جميعاً إلى رضاه السامى عن أعمالنا .

سادتى وسيداتى

بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن زملائى أعضاء الاتحاد النسائى أشكر حضراتكم على تفضلكم بتلبية دعوتنا ومشاركتنا الاحتفال بعيد اتحادنا العشرين كما سبق أن أوليتمونا مثل هذا الشرف العظيم فى كل مناسبة من تأسيس جمعيتنا وقد كان تعضيد حضراتكم المستمر أكبر مشجع لنا على المضى بقدم ثابته فى المرحلة التى قطعناها مدة العشرين سنة الماضية .

سادتى . سيداتى

ولو ان الأعوام تمر سراعا على حياة الأفراد وتلقى أثناء مرورها نظرة عاجلة على أعمالهم الا أنها تدون فى السجل الأبدى لحياة الأمم الطويلة ما يخطه كل جيل فى تاريخ أمته من حسنات وسيئآت وما يتركه الأفراد من تراث للخلف بعدهم فكل فرد مسئول عن جيله أمام وطنه وأمام المجتمع وأمام الأجيال القادمة ولم تكن المرأة المصرية تجهل ذلك عند قيام الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ ، تلك الحركة المباركة التى أفسحت مجال العمل أمامها وأتاحت لها فرصة المساهمة بنصيبها فى القيام بواجبها نحو بلادها فلم تتردد لحظة فى خوض ذلك المعترك الوطنى الخطير وفيه أبلت بلاء حسنا شهد به قادة الحركة وزعماؤها وأرباب الأقلام من شعراء وأدباء كما سجلها مؤرخوها وكانت هذه الخطوة فاتحة الخطوات الجديدة التى اعترف بها للمرأة المصرية وأول سطر خط فى سجل نهضتنا الحديثة ـ وما كان الاتحاد النسائى إلا وليد تلك الحركة لتنظيم صفوف المرأة وتوحيد جهودها فى خدمة الوطن العزيز .

سادتى . سيداتى .

فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ تأسس الاتحاد النسائى المصرى أثر دعوة وجهت إلى نساء مصر للاشتراك فى مؤتمر الاتحاد النسائى الدولى الذى عقد بروما فى شهر مايو من تلك السنة وكانت لجنة الوفد المركزية للسيدات التى كنت أتشرف برياستها هى الهيئة النسائية البارزة فى مصر

فتشكلت من بين أعضائها جمعية الاتحاد النسائى وبالرغم من سرورى بهذه النتيجة لا أكتمكم أننى سافرت متهيبة تلك المسئولية العظيمة خاشية مغبة الفشل إذ كانت هذه أول مرة تشترك فيها المرأة المصرية فى عمل دولى ، ولكن توكلنا على الله يقوينا إيماننا بأننا نحصل على رسالة المرأة المصرية التى عاشت حقبة من الزمن مهضومة الحق مهيضة الجناح سيما وقدكان سفرنا عقب الحركة لوطنية يتيح لنادحض مختلف المفتريات التى أثيرت فى الخارج حول حركتنا الوطنية الكبرى وشوهت من جلالها وعظمتها

لما وصلنا إلى روما وجدناها غاصة بمندوبات ست وثلاثين دولة أوفدت كل منها أكثر من عشرين مندوبة عدا الصحفيات والمشتركات الوافدات من مختلف البلدان لمشاهدة المؤتمر .

وفى نشاط ذلك المؤتمر وجوه لمسنا عن كثب أثر الأوروبيين فى نهضة الغرب ولو أن وفدنا كان أقل الوفود عددا وعدداً إلا أنه أحدث تأثيراً كبيراً ولقى ترحيباً عظيما إذ ظهر أمام ذلك الجمع الحاشد وهو يؤدى رسالته بجد ونشاط وخبرة على عكس تلك الصورة المشوهة التى طبعها فى مخيلة الأوروبيين كتاب ضمنوا كتبهم معلومات خاطئة عن الشرق ونسائه . ولما تبينت لنا أهمية الموضوعات التى كان يدرسها ويحضرها مكتب الاتحاد العام فى المسائل الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وخدمة السلام ونزع السلاح ، طلبنا انضمام جمعيتنا إلى

جمعية الاتحاد الدولى وصادف طلبنا قبولا مقرونا بالتشجيع والتعضيد واندمجت جمعيتنا فى عضوية هذه الهيئة الدولية الكبرى وأصبح اتحادنا ذا صفتين دولية وقومية معترفا بحيثيته فى مصر والخارج - ومنذ ذلك اليوم قطعنا على أنفسنا عهداً أن نحذو حذو أخواتنا الغربيات فى النهوض بجنسنا لنصل ببلادنا إلى مصاف الأمم الراقية مهما كلفنا ذلك وأن نساهم بأمانة واخلاص فى تنفيذ برامج الاتحاد النسائى الدولى الذى يشمل أغراضنا المشتركة .

وهنا يطيب لى أن أذكر حادثاً كان له تأثيره عند افتتاح ذلك المؤتمر وهو أننا لما دخلنا قاعة الاجتماع قبل انعقاده ووجدنا أعلام الدول المشتركة ترفرف على جدوارنها ولم نكن قد أخذنا الأهبة لذلك لعدم معرفتنا بهذا التقليد كلفنا طلاب البعثة المصرية بتحضير علم مصرى يتعانق فيه الهلال والصليب فصنعوه وإذا به أكبر الأعلام الموجودة حجما - ولما أبديت لهم هذه الملاحظة قالوا أن مصر أعرق الأمم ويجب أن يكون علمها أكبر الأعلام فلما قدمته لرئيسة المؤتمر نقلت لها ملاحظة أبنائنا الطلبة فابتسمت ولما رأت عليه الصليب يعانق الهلال تأثرت تأثراً عظيما وأمرت بوضعه على يسار المنصة معادلا لعلم الدولة المنعقد المؤتمر بأرضها فشغل بذلك محلا ممتازا وقدمتنا الرئيسة عند الافتتاح بعبارات ملؤها التأثر والتقدير وكانت أكبر عامل فى إزالة الفكرة الخاطئة التى شابت حركتنا الوطنية بوصفها بالتعصب الدينى .

انضمت جمعيتنا للاتحاد النسائى الدولى على أساس المطالبة بحق الانتخاب للمرأة ومساواتها بالرجل فى الحقوق السياسية والمدنية .

ولما كان برنامجنا يتضمن أغراضاً كثيرة قومية ودولية تقتضى بحوثاً فى القانون والشريعة والأخلاق والصحة والتعليم — وكل هذه البحوث يفتقر إلى الاستشارة بآراء الأخصائيين رأينا الاستعانة بخبرة بعض رجالنا المختصين وذلك بتشكيل لجنة استشارية من القائمين بالتشريع والتعليم والطب والاجتماع فلبى طلبنا إذ ذاك حضرات المحترمين الأستاذ محمد على علوبة باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومراد سيد احمد باشا ومحمد زكى على باشا والدكتور طه حسين بك والدكتور منصور فهمى باشا والأستاذ أنطون الجميل بك واحمد فهمى العمروسى بك والمرحوم محمد شاهين باشا والمرحوم على بك عمر والمرحوم ابراهيم بك الهلباوى ، ولقد كان لمعاونة حضراتهم القيمة أكبر الأثر فى حسن توجيه أمورنا وتيسير مهمتنا ، وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأقدم لحضراتهم خالص الشكر والاعتراف بالجميل على حسن معونتهم لنا حتى الآن كما أدعو الله أن يتغمد المتوفين برحمته ورضوانه .

سيداتى . سادتى

لقد أخطأ الكثيرون فهم مبدأ المساواة بين الجنسين فى الحقوق والواجبات وظنوا أن المرأة المصرية إنما تسعى للسفور ومزاحمة الرجل

فى ميادين السياسة والعمل مما أدى إلى تذمر بعض المحافظين — والحقيقة أن المرأة المصرية لم تقصد من المطالبة بحقها السياسى التدخل فى الأمور السياسية والحزبية المحضة سيما وقانون الاتحاد النسائى الدولى لا يسمح بالتدخل فى الأمور السياسية والدينية ، وإنما طالبت بذلك لتستطيع الاشتراك فى التشريع والتنفيذ ، والمساهمة فى علاج الأحوال الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية وبالأخص ما كان منها متعلقا بشئون المرة والطفل وقد كان سفورها من الوسائل اللازمة للحصول على هذا الحق — وإن كان لتطور المرأة بعض المساوىء فهذا ما يعترى كل تطور فى دور الانتقال ولا تلبث هـــذه المساوىء أن تزول على مر الزمن بقليل من العناية وحسن التوجيه .

سادتى . سيداتى

أخذت الجمعية تعمل بجد ونشاط فى تحقيق أغراضها وقد تحقق منها ما تحقق وما زالت تسعى فى تحقيق ما بقى تدريجيا ، وتتجمع هـذه الأغراض في أمنية واحدة وهى سعادة العائلة بضمان العدل بين أفرادها وبث روح التعاون والوئام فيها وإعلاء شأن المرأة برفع مستواها الثقافى والاجتماعى وما المرأة إلا مقياس الحضارة فى الأمم .

وللنهوض بالمصرية وإعدادها لأن تكون أهلا للمساواة التى تنشدها وضعنا فى مقدمة برنامجنا مشروعين أساسيين هما تحديد السادسة عشرة سناً أدنى لزواج الفتاة ومساواتها بالولد فى جميع مراحل التعليم ليمكنها

تكوين جسمها وتثقيف عقلها قبل مباشرة حياتها الزوجية — وقد أقر المؤتمر الدولى هذين المشروعين ولما تقدمنا بهما إلى حكومة المرحوم يحيى ابراهيم باشا سنة ١٩٢٣ لم تمض مدة وجيزة حتى نفذ مشروع سن تحديد الزواج ولكن للأسف كثيراً ما يلجأ أولياء الأمور إلى الأطباء للحصول على شهادات تخولهم تزويج بناتهم قبل السن المحددة — ولما فتحت أبواب التعليم الثانوى والعالى أمام فتياتنا وظهر حسن استعدادهن بتفوقهن فى الامتحانات العامة ساعد ذلك على الإكثار من مدارس البنات وعلى قبول فكرة إيفاد بعثات من الطالبات إلى أوروبا لتلقى العلوم العالية أسوة بزملائهن الطلبة ويرجع أكبر الفضل فى نجاح هذا المشروع إلى الدعاية التى قمنا بها وإلى تحبيذ ومساعدة القائمين بأمر التعليم لها وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين بك والمرحوم على بك عمر وإلى الحكومات إذ ذاك من تقدير لمواهب الفتيات — ويحق أن أفتخر بأن طالباتنا خريجات جامعات أوروبا ومصر قد شرفننا بما وصلن اليه من نتائج مرضية وبما بعثنه فى التلميذات من روح طيبة بما اتبعنه من الطرق الحديثة المشرفة التعليم . وهنا يسرنى أن أتلو على مسامعكم إحصائية بسيطة تبين اضطراد الزيادة فى عدد التلميذات منذ ست عشرة سنة

ففى سنة ٢٤ / ٢٥ كانت نسبة البنات المئوية فى مجموع الطلبة ١٩٫٢٤ فى المئة

وفى سنة ٣٠/ ٣١ كانت نسبة البنات المئوية إلى مجموع الطلبه ٢٤٫٤٧ فى المئة

وفى سنة ٣٣/ ٣٤ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٢٧٫٠٤ فى المئة

وفى سنة ٣٦/ ٣٧ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٣٤٫٩٣ فى المئة

وفى سنة ٣٩/ ٤٠ كانت نسبة البنات المئوية إلى مجموع الطلبة ٣٨٫٩٧ فى المائة

أى أن النسبة المئوية ارتفعت فى خلال تلك المدة إلى الضعف ـ وقد وصل عدد من الطالبات فى كليات الجامعة الى ٦٨٣ طالبة فى هذه السنة عدا ٩٢ خريجة فى السنوات الماضية

ولقد كان لاحتفال الاتحاد النسائى بأولى خريجات كليات الجامعة المصرية سنة ١٩٣٣ أثر كبير فى اقبال الفتيات على طلب العلم وحفز أولياء أمورهن على تسهيل سبيلها فى تحصيل العلم والثقافة. ومن دواعى فخر نهضتنا أن أثرها لم يقتصر على خدمة العلم وتغذيته فى مصر بل أصبح لنا اليوم فتيات يمارسن مهنة التعليم فيربين ويثقفن بنات الاقطار الشقيقة هذا فضلا عن نجومنا السواطع فى سماء العلم والأدب من طبيبات ومربيات ومحاميات وشاعرات وكاتبات وصحفيات وكم ينشرح صدرى كلما رأيت إسما جديداً على كتاب أو مقالة أو رسالة على

صفحات الجرائد أو كلما سمعتهن يذعن أو يشتركن فى مناظرة ويحرزن قصب السبق على زملائهن المتناظرين .

أما عن الفن فحدث عن تقدم المرأة فيه فهى فنانة موهوبة بطبيعتها فى الموسيقى والغناء والرسم والتمثيل وكم فازت فى مباريات النحت والتصوير التى تقيمها كل عام لتخليد ذكرى مختار دنيس كما فازت فى مباريات أدبية وعلمية ثبت بالتجربة أن تعليم البنت واشتغالها بأمور التربية والأعمال العامة أعدها لواجبات الزوجية والأمومة إعدادا صالحاً .

ولما كان من أعز أمانى الاتحاد سرعة النهوض بالمرأة ورفع مستواها العلمى والأخلاقى واعدادها لحياة الزوجية والأمومة والعمل كى تستفيد البلاد من تقدمها ونشاطها قررنا انشاء مدرسة للأمهات غير القادرات لتعليمهن مبادىء التربية والتدبير والعناية بصحة أطفالهن يتبعها مستوصف لمعالجة المرضى من النساء والأطفال بالمجان ، فاستأجرنا لذلك منزلا بحى زين العابدين وحاولنا محاربة الجهل والخرافات المتمكنة من عقول تلك النسوة ولما لم نصل إلى النتيجة المرجوة فضلنا أن نوجه عنايتنا وجهودنا إلى إعداد النشء من البنات واستأجرنا مؤقتا داراً أكبر من الأولى بشارع محمد على وأعددنا فيها مشغلا ومدرسة للتعليم الأولى ومستوصفا لمعالجة الأمهات والبنات ووجهنا نداء إلى الأطباء فلبى رجال المروءة والانسانية نداءنا وتطوعوا لخدمة مستوصفنا وهم حضرات الأطباء المحترمين محجوب ثابت بك والدكتور سامى كمال والدكتور عبدالحميد وفا

والدكتور توفيق النجار والدكتور سليم صبرى الذى لم يتخلف مرة واحدة طيلة العشرين سنة عن الحضور للمستوصف أو المدرسة لمعالجة المرضى ومباشرة صحة التلميذات وتوجيههن بالنصح والإرشاد وتعليمهن مبادىء الصحة والاسعافات الطبية حتى أصبح يعتبر بحق أنشط عضو وأمتن ركن فى الاتحاد وهنا لانسى ما قدمه الدكتور رزق الله من المعونة فى تعليم تلميذاتنا مبادىء الصحة مدة من الزمن ولما كثر عدد تلميذاتنا وتعددت مشروعاتنا لإنشاء معهد فسيح كامل الاستعداد ، ولما كان يعوزنا المال لمشترى الأرض واقامة البناء عليها تقدمنا إلى الحكومة بطلب قطعة أرض من ممتلكاتها واخترنا الأرض المقامة عليها هذه الدار وسعينا مدة خمس سنوات حتى حصلنا عليها فى حكم المغفور له محمد محمود باشا طيب الله ثراه أما المال فقد هبونا جزء منه من ايراد الحفلات التى كنا نقيمها بالجزيرة بسراى آل لطف الله الكرام وساعدنا على نجاحها فضليات السيدات وعقيلات ممثلى الدول فى بلادنا واقبال المشجعين أمثالكم عليها ومن دخل معارض الأشغال ومساعدة المحلات التجارية التى طالما تبرعت لنا بهدايا كانت تباع فى هذه الحفلات ونذكر بالشكر محل سمعان صيدناوى ، الملكة الصغيرة الذى خصص أسبوعا لمشروعنا كما نذكر بالشكر الجزيل أحمد بك نجيب الجواهرجى الذى أهدى لنا قطعا ثمينة من الحلى لتكون جوائز فى السحب الخيرى لصالح الجمعية ، ولقد كان لعطف حضرة صاحبة السمو

ساكنة الجنان الأميرة أمينة توفيق (أم المحسنين) فى بدء تأسيس معهدنا فضل كبير فى مساعدتنا وحذا حذوها فى تشجيعنا من بعدها حضرتا صاحبتا السمو كريمتها الأميرة خديجة عباس حلمى والأميرة نعمت كمال الدين وكذلك حضرة صاحبة السمو الأمير نعمت الله مختار وهنا لا يمكننى أن أجحد فضل المرحوم المستر هربرمان الامريكى الذى تبرع بمبلغ مائتى جنيه أرسلها من أمريكا مساعدة فى تأسيس هذه الدار ولما كنا نعلم أن الحكومة تساهم عادة فى بناء المؤسسات العلمية والخيرية تقدمنا بطلب ما يستحقه مشرعنا من معاونة أسوة بغيره من المشروعات فاعتمد لنا مراد سيد أحمد باشا وزير المعارف إذ ذاك مبلغ ألف جنيه ما زلنا ننتظر صرفه حتى الآن.

وبهذا الجزء الذى جمعناه من المال بدأنا بناية هذه الدار وتولانا الله بتوفيقه وعنايته حتى أتممناها وقد تبرع مصطفى بك فهمى المهندس بعمل تصميمات على الشكل الجميل الذى ترونه كما أخذ المسيو بيانكى المقاول الكبير على عاتقه بناء هذه الدار بقدر ما يمكن من العناية والاقتصاد ما زال الاتحاد يحفظ لها هذه اليد وما زال يقوم بتسديد ما عليه من ديون البناء مع ما يؤديه مشغله ومدرسته تحت اشراف وزارة المعارف من خدمات للعلم والثقافة بتعليم معظم تلميذاته بالمجان فى القسم الخارجى والداخلى ولهذه القاعة من المبنى فضل كبير فى نشر

الثقافة فقد القى فيها كثير من العلماء والمصلحين محاضرات فى شتى البحوث على جمهرة من طلاب العلم ورواده

أما من الناحية الأخلاقية فقد اشترك الاتحاد النسائى سنة ١٩٢٤ فى بعض المؤتمرات الأخلاقية ، وكان إلغاء البغاء هو الطلب الجوهرى الذى تقدمنا به إلى المؤتمر ثم إلى حكوماتنا المتعاقبة ، قدوجهت مندوباتنا فى المؤتمرات الدولية المتعددة عناية كبيرة لدراسة هذا الموضوع باشتراكهن فى اللجان الخاصة به علاوة على الموضوعات الأخرى التى درستها

ولما شكلت سنة ١٩٣٩ تحت رياسة معالى الدكتور حامد محمود بك وزير الصحة وقتئذ لجنة لبحث مشكلة البغاء وكنت عضوا فيها أدليت بآرائنا فى الطريقة التى نراها مجدية لانتشال أولئك البائسات اللواتى يحترفن البغاء ليقتنن وقدمت لمعاليه تقريراً بمقترحاتنا فى علاج هذه المشكلة وقطعنا مرحلة طويلة فى هذا السبيل ولكن للأسف جدت ظروف اعتبرت قهرية حالت دون تنفيذ الغائه ، ولنا فى نشاط معالى الاستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية وحبه لتعميم الاصلاح أكبر الامل فى إزالة هذه الوصمة عن جبين مصر الاسلامية

وطالما طالب الاتحاد النسائى بتحديد وقت لبيع الخمور وتحريمها على من هم دون الثامنة عشرة من العمر كما ألح الاتحاد فى أقفال دور الميسر والمراهنات التى كثيرا ما سببت فى خراب البيوت وتقويض الأسر وكذلك طالب الاتحاد بتنظيم الاحوال الشخصية لتهيئة الأساس

الصالح لبناء الأسرة واستقرار الحياة الزوجية بوضع حد لفوضى الطلاق وتقييد تعدد الزوجات إلا لضرورة ومد أمد الحضانة على مذهب سيدنا مالك أى لسن البلوغ للولد وسن الزواج للبنت وطالبنا بمراعاة جانب المرأة فى شروط بيت الطاعة الذى يتخذه بعض الأزواج وسيلة لإرهاق الزوجة لارغامها على التنازل عن حقوقها . وقد وفقنا إلى مد أمد الحضانة الى التاسعة للولد والحادية عشرة للبنت مقابل تنازلنا مع الأسف عن سنتين من حق المرأة فى مدة النفقة وصدر قانون بذلك سنة ١٩٢٩ فى عهد المغفور له محمد محمود باشا وكذلك وصلنا إلى تعديلات طفيفة فى نظام الطلاق أما مشكلة تعدد الزوجات فما زالت العقبة الكبرى فى طريقنا رغم الامتحانات القاسية التى مرت بنا .

وكذلك طالب الاتحاد بالقضاء على البدع والخرافات كالزار والولولة خلف الموتى ومحاربة الخرافات والتدجيل وما أشبه ذلك مما له خطره على عقلية النشء وصحتهم كما طالبنا بمراعاة تحسين أخلاق الأحداث بأن تتولى المرأة الحقوقية مناصب القضاء فى قضاياهم وبأن يعهد كذلك الى النساء بالاشراف على سجونهم لأن المرأة بحكم أمومتها أعرف الناس بأخلاق الطفل وأخيرا بدأ الاتحاد بضم جهوده إلى جهود جماعة إنقاذ الطفولة المشردة لانتشال الأطفال البائسين الذين فقدوا عائليهم أو حرموا عناية ذويهم ، وهنا نرجو أن يظل معالى وزير الشئون الاجتماعية على عزمه فى تشجيع هذه الجماعة التى درست مشكلة التشرد وأدت خدمات

جليلة فى توجيه المتشردين وعلاجهم وانقاذهم بطرق جدية ناجحة وأن يشمل بعنايته واهتمامه تلك المشكلة الخطيرة لانقاذ هذا النشء البرىء من أبناء الوطن الذين لهم علينا مثل ما لغيرهم من الحقوق وبهذه المناسبة أذكر أننا طالبنا بانشاء حـــدائق للأطفال وتعميم التعليم الأولى لمحاربة الأمية .

أما فى الناحية الاقتصادية فقد قام الاتحاد بدعاية واسعة لتشجيع الصناعات المحليـة ، وقد اشترك الاتحاد فى المعرض النوعى للصناعات المصرية إظهارا لحسنها ومتانتها وترويجا لها ، ولاعداد معلمات فنيات فى الأشغال اليدوية والتدبير المنزلى على الطراز الحديث أوفدنا سنة ١٩٣٦ بعثة مكونة من ست تلميذات، ثلاث إلى بلجيكا وثلاث إلى تركيا ليتخصصن فى علوم التدبير وليتبحرن فى اللغات الأجنبية فحصلن على الشهادات العالية وهنا أذكر بالشكر وعرفان الجميل موقف الحكومة النبيل التى أبت الا أن تتولى نفقات تعليم بعثتنا بمعهد اينونو بأنقرة تشجيعا لنهضتنا

ولم يكن الاتحاد النسائى أقل غيرة من الهيئآت نصيباً فى خـدمة الانسانية بايواء كثير من المهاجرات بأطفالهن مدة الغارات ، ومساعدة منكوبى زلزال تركيا والهـلال الأحمر وقد ساهم بقسط وافر فى نشر الدعوة للسلام بالاشتراك فى الاجتماعات التى عقدت لهـذا الغرض فى مصر والخارج بما جمعه من توقيعات الشخصيات بمصر سنة ١٩٣٢ فى حركة السلام التى قام بها نساء العالم وأرسلتها لعصبة الأمم لتقديمها للمؤتمر

نزع السلاح سنة ١٩٣٣ ، وقد اشترك الاتحاد النسائى فى عشر مؤتمرات دولية .

روما فى سنة ١٩٢٣ ، جراتس ١٩٢٥ ، باريس ١٩٢٦
امستردام ١٩٢٧ ، برلين ١٩٢٩ ، مرسيليا للمطالبة بحق الانتخاب لنساء فرنسا ١٩٣٢ ، استنبول ١٩٣٥ ، بروكسل سنة ١٩٣٦ ، بودابست ١٩٣٧ ، كوبنهاجن ١٩٣٩

وأنه من دواعى فخر الاتحاد النسائى المصرى أيضا مساهمته العقلية فى العمل على الغاء الامتيازات الأجنبية (أصدر مؤتمر برلين ١٩٢٩ واستانبول ١٩٣٥ قرارين باستنكار قيام نظام الامتيازات الأجنبية بمصر وضرورة الغائه)

وقد ساهمت المرأة المصرية فى مناصرة عرب فلسطين ودافعت عن قضيتهم العادلة دفاعا مجيدا .

انتهز هذه الفرصة وأقدم خالص شكرنا لحضرات قادة الأقلام فى بلادنا وحضرات الذين كان لهم فضل السبق فى تمهيد السبيل لتحرير المرأة كالأستاذ الكبير لطفى السيد باشا مدير الجريدة إذ ذاك ، والأستاذ عبد الحميد حمدى فى مجلة السفور وجريدة الأهرام والسياسة والبلاغ والجورنال دى جيبت

ومن نتائج النهضة النسوية الحديثة أننا قد أصبحنا نرى المصرية موظفة فى دواوين الحكومة والمعارف تعمل مع الرجل جنبا إلى جنب

فى الطب والمحاماة والصحافة والتجارة وتساهم بأوفر نصيب فى اصلاح حال الأسرة ورعاية الطفل وهانحن نراها اليوم تخدم الانسانية منضمة فى جمعية الهلال الأحمر تحت رعاية حضرة صاحبة الجلالة مليكتنا العاملة وفى ميادين الخدمة الاجتماعية نراها تساهم بأوفر نصيب كما نراها فى المرشدات عنوان النشاط ، ورعاية المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول الذى اعتبر بحق دعامة قوية فى تأسيس نهضتنا النسائية الحديثة بفتح أبواب الجامعة أمام السيدات أيام كان رئيساً لها بتخصيص أيام لهن تلقى عليهن فيها أديباتنا أمثال الباحثة ومى والسيدة لبيبة هاشم وصروف محاضرات علمية وأدبية وقد تفضل جلالته رحمه الله برعايته أول احتفال أقيم لاحياء ذكرى قاسم رغم ثورة الرجعيين . فان اعترضت سبيلنا فى بعض الأحايين عوامل قللت من انتاجنا أو حالت دون تحقيق جميع أمانينا فلا شك أنه سيأتى اليوم الذى نصل فيه إلى أهدافنا ما دمنا على خطتنا مثابرات . . .

اننا ليؤلمنا أن تبقى المرأة المصرية إلى الآن مهضومة الحق السياسى ولا تتساوى حتى بالرجل الأمى فى التصويت والانتخاب ، وانتهز هذه الفرصة فأرفع صوتى عالياً على الملأ مطالبة بتخويل المرأة المصرية حقها السياسى فى التصويت والانتخاب ومجالس المديريات ودار النيابة والمجالس الحسبية ومساواتها بالرجل فى جميع الحقوق والواجبات وأهيب بنساء مصر الا يفرطن فى هذا الحق المشروع لهن كما أتوجه بمزيد الثناء والتقدير

لحضرات زميلاتى . . . . مثل زميلاتى نفيسة هانم علوبة والآنسة مارى كحيل (والمرحومات السيدات اسماء المطيعى ووجيدة خلوصى وسعاد وفردوس الهلباوى ونعمت حجازى وفكرية الصلح) .

وانى لن أنسى تلك المفاجأة السارة التى أراد ملك الجميع أن يتوج بها أعمال الاتحاد النسائى برضاه عن شخصى الضعيف وإنعامه السامى على بوشاح الكمال .

خلاصة الكتاب

يظهر لنا مما تقدم أن الحركة النسائية فى مصر تطورت تطوراً سريعاً إلى حد يثير الدهشة إذ أن المصريات استطعن فى ربع قرن من الزمن الخروج من التحجب إلى موقف يدعين فيه الحقوق النيابية فهن لم يكتفين بنزع الحجاب ولا اكتفين بالتحرر من أوصابه بل أخذ بعضهن فى الارتقاء إلى مستوى أرقى النساء المتمدينات وأوسعهن ثقافة فى العالم بعد أن كن إلى عهد قريب لا يملكن حقا من الحقوق التى منحها لهن الدين وما أكبرها من حقوق !

إن الدين الإسلامى متى أخذ بمعناه الصحيح يرفع المرأة إلى رأس المجتمع ويضعها فى مركز اجتماعى تحسدها عليه الكثيرات من الغربيات غير أن تعاليم الإسلام لم تكن تنفذ تنفيذاً صادقا بعيداً عن الغرض والهوى إذ أن بعض تقاليد البلدان الإسلامية حيث تعد المرأة كائنا وضيعاً كانت فى أكثر الأحيان تسيطر على من كانوا يتولون شرح الدين فيها وكان يعمل بالقرآن الكريم وفاقا للأحوال الاجتماعية السائدة فى المحيط ، وكانت هذه الأحوال فى أكثر الأوقات مضادة للمصلحة النسائية فكان لا بد لتعديل الحالة من انتظار أوائل القرن العشرين حين برز الشيخ محمد عبده يشرح الدين وفاقا لروح القرآن شرحا حراً يجلو أكثر الأمور الخاصة بحقوق النساء .

وكان يكتفى إلى ذلك الوقت بالنصوص الحرفية دون الوصول إلى الجوهر فكان أنصار التقاليد يفسرون القرآن الكريم تفسيراً من شأنه أن يمحو وجود المرأة ويهز كيانها كإنسان .

وإذا نحن ألقينا نظرة سريعة على حقوق المرأة فى الإسلام على ضوء تفسير حديث (كتفسير الشيخ محمد عبده) لتبين لنا كم يظلمون الإسلام ويحملونه بعدوانهم فكرة انتقاص حريات المرأة والقضاء على شخصيتها .

فالحالة التى يتم فيها الزواج فى الإسلام لا تدع مجالا لظلم المرأة إذ لا يمكن أن يتم الزواج إلا إذا قبلت المرأة الزواج ووافقت على اختياره موافقة صريحة واضحة وهو وفاقا لهذا لا يقر بحال من الأحوال الزواج الجبرى وإذا كانت المرأة فى بعض الأوساط الجاهلة لا تعرب صراحة عن موافقتها فذلك يرجع إلى جهلها هذا الحق ، ومثل هذا الظلم يزول ويمحى عند ما تتعلم المرأة وتدرك حقوقها .

أما المهر الذى تأخذه المرأة المسلمة من زوجها فكثيراً ما قيل أنه مبلغ من المال يدفعه الرجل لشراء زوجته ، وإذا كان هذا ما يعتقده البعض فما قولهم فى « الدوطة » التى تقدمها المرأة الغربية إلى زوجها ، إن الإسلام لم ينظر إلى المهر تلك النظرة الخاطئة والأصل فيه أنه هبة يهبها الزوج للمرأة لمناسبة الزواج فيجب إذن استبعاد فكرة الشراء من هذه الرواية ، وخير دليل على ذلك أن المرأة تتصرف بالمهر تصرفها فى

ملكها الخاص ولها الحق فى إدارة ما تمتلك وفقاً لمشيئتها دون أن يكون للزوج حق التدخل فى الأمر ، فالمهر لا يخضع المرأة لزوجها (كما كان يجب أن يجرى لو كان معداً لشرائها) ولكنه يعد ضماناً ماديا لمستقبلها إزاء قرينها ومن حق المرأة أيضا أن يحسن الزوج معاملتها كما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف .

أما فيما يختص بالإرث فالمرأة ترث نصف الرجل إذا تساوت فيهما شروط الإرث ، وما دام الرجل هو الذى يعول الأسرة وليس على المرأة أى التزام من هذا الوجه فما يؤول اليها من الميراث يعتبر مصدر يسر لها ، وإذا هى أنفقت فى بيتها من مالها فذلك بمثابة تقدمة للزوج ومعاونة له. فالمرأة المصرية تتمتع فى هذه الحالة متاعا مقبولا فى كل زمان ومكان .

وهناك أخيراً الحالتان اللتان يخصهما النقاد بالنقد الكثير وهما الطلاق وتعدد الزوجات ، فقد قيل إن الإسلام يخول الرجل حق تطليق زوجته ويمكنه من التخلص منها وفقا لمشيئته ، والواقع أن الإسلام يمكن المرأة من أن تطلب الطلاق بنفسها إذا احتفظت بهذا الحق فى عقد الزواج ، وهكذا يصبح الطلاق حقا ثنائيا فلا يتمتع به أحد الزوجين دون الآخر . وتستطيع المرأة أن تفترق عن زوجها إذا لم ترقها الحياة الزوجية . وعند ما تدرك المرأة هذا الحق لا يسهل على الرجل أن يعاملها معاملة غير عادله

أما نظام تعدد الزوجات وهو أكثر نظم الإسلام استهدافا للنقد

فللإنسان أن يتساءل هل يسمح به الإسلام حقا ؟ إنى شخصيا أرى أن الإسلام لا يسمح به وإنما يقبله كضرورة فردية أو اجتماعية وهو لذلك يخضعه لشروط دقيقة لا يمكن تحقيقها ، حتى أنه يمكن أن يقال إن روح الإسلام ينفر من تعدد الزوجات .

وقد فسر علماء الدين القرآن الكريم تفسيرا يؤخذ منه أنه ينبغى لمن يقترن بعدة نساء أن يكون دقيقا فى معاملتهن بالعدل فالرجل يحق له أن يقترن بأربع ، ولكن يجب عليه أن يعدل بينهن عدلا مطلقا فإذا لم يستطع الإنصاف بينهن فليس له أن يتزوج بأكثر من واحدة (وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) وحسبنا قوله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »

ويبدو لى أن الرجل فى صدر الإسلام كان يستطيع أن يكون عادلا فى معاملة زوجاته من الناحية المادية إذ كان فى وسعه إذا قدم ثوبا لإحداهن أن يقدم مثله لكل من زوجاته الأخر ، وإنما كان ذلك مستطاعا لأن النساء فى ذلك الوقت لم تكن لهن شخصية تجعل لكل منهن مطالب خاصة وميلا خاصا .

أما فى مثل عالمنا الحاضر المتمدين فينبغى للرجل فيما يختص بالكساء أن يقدم الرجل لكل زوجة ثيابا تتفق وميلها وتنسجم وشخصيتها ونوع جمالها ، ويجب فضلا عن ذلك أن تتساوى أثمان هذه الأثواب ، ولابد أن تتكرر هذه الصعوبة كلما قدم الرجل شيئا ولو بسيطا لإحدى

زوجاته ، وهى تتكرر أيضا فيما بالأولاد بالأولاد .

فالمسألة إذن تتطلب حسابا مستمرا لا حد له ومشكلة العدالة المطلقة بين الضرائر تتعقد إلى حد أنه يصعب حلها على كبار الاقتصاديين أنفسهم فإذا قلنا إن نظام تعدد الزوجات لم يعد يصلح لمجتمعنا فذلك لأن الأحوال الاجتماعية تبدلت ولم تعد كما كانت من قبل لا تعقيد فيها ولا شك فى أن النظام الذى وجد لأسباب اجتماعية يزول من تلقاء نفسه لأسباب اجتماعية أيضا

فالرجل إزاء تكاثر النفقات وأسبابها وإزاء اكتساب المرأة شخصية تزداد قوة يوما بعد يوم يتعذر عليه الاقتران بأكثر من امرأة واحدة والرجال كما نعتقد يرون أن الزوجة الواحدة تثير أحيانا من المضايقات مايمنع الزوج من الاقتران بثانية

فتعقد وسائل الحياة فى المجتمع العصرى لا يدع سبيلا للعدل بين الضرائر وللانسان أن يستخلص من ذلك أن الإسلام يمنع تعدد الزوجات وفى القرآن الكريم آية تمهد السبيل لهذا المنع قال الله تعالى فى سورة النساء (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم...) زد على هذا أن تعدد الزوجات يحول دون وحدة الأسرة وسعادتها وليس هناك من سبب يدعو إلى ذلك فخليق بالمشرعين المصريين أن ينظروا فى أمر إلغائه ويضعوا لهذا الغرض نصا صريحا كما فعلت بعض البلدان الإسلامية .

لقد وجدت امتيازات متباينة فى الإسلام ولكنها ظلت حقوقا نظرية فلم تنتقل إلى حيز الفعل إلا عند ما فتحت المرأة عينيها وأدركت ما لها من حقوق تستطيع المطالبة بها .

وقد ظلت المرأة المصرية حتى أوائل القرن العشرين محجبة جاهلة تحيا حياة خاملة إلى أن أخذت حركة أنصار الحركة النسوية من الكتاب والمصلحين تظهر شيئا فشيئا مستندة إلى مبادىء الشيخ محمد عبده فصارت المرأة تفكر فى أمر حريتها والوصول اليها .

ولم تكد تنال قسطا من التعليم حتى أخذت تنهض نهضة سريعة تعد من أسرع النهضات فى العالم ، وينبغى كما سبق القول التمييز بين تحرير المرأة المصرية فى تطور اجتماعى تدريجى وبين تحرير المرأة التركية بأمر أتاتورك

ففى غضون بضع سنوات تحول ما كان يحق للمرأة المطالبة به الى أمر واقع بفضل إرادتها ومن غير حاجة إلى مرسوم تصدره إرادة عليا ، وقد تقدمت المرأة المصرية من تلقاء نفسها وبسرعة غريبة واندفاع عظيم وسوف تمضى فى طريقها قدما بعد أن نشأ فى الحياة المصرية جيل عارف بقدر المرأة مؤمن برسالتها فى المجتمع .

° ° °

ونحن نستطيع أن نأخذ من الماضى عبرة للمستقبل واثقين من أن المرأة المصرية ستقطع شوطا بعيدا فى طريق الرقى لأن اندفاعها القوى

لا يقف بها فى منتصف الطريق وما من سبب يدعو إلى توقفها وهى كما نالت حتى الآن قسما كبيرا من حقوقها ستنال قريبا جميع تلك الحقوق.

وقد خلق تحرير المرأة فى نفسها ميلا إلى العمل والنضال وبذل الجهود فى ميادين الحياة حتى أنها قامت أخيراً تطالب بحق الانتخاب وإن كان الوقت لم يحن بعد لتقرير هذا الحق الذى رآه الرجال حقاً للأميين فيهم وقد لا يمضى زمن طويل الا وتتم هذه الرغبة التى يسعى اليها النساء ويعضدهن فيها جماعة من النخبة المثقفة فى مصر .

ويجب الا ننسى فوق هذا ظروف الحرب فقد أتاحت للمرأة المصرية فرصة الاتصال بكثير من الغربيات وخاصة الانجليزيات والأميريكيات فأوجد هذا عندنا شيئاً من روح المنافسة وشجع المصريات على محاولة الارتقاء إلى أفضل مستوى اجتماعى وصلت اليه الغربيات .

وإذا كان الرجل فى مصر يتمتع حتى الآن بامتيازات ليس للمرأة مثلها فالمرأة ستواصل السعى حتى تنالها ، لقد كان جهلها سبب اضطهادها أجيالا عدة فغدا تعليمها وسيلة لاسترداد جميع الحقوق التى يعينها لها الدين ويقضى بها نظام الحياة .

قرارات المؤتمر النسائى

فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٤

الحقوق السياسية للمرأة :

أولا — مطالبة الحكومات العربية بالعمل على المساواة تدريجيا بين المرأة والرجل فى الحقوق السياسية وعلى الأخص حق المرأة فى أن تنتخب وتنتخب — والى أن تتهيأ للحكومات فرصة تحقيق هذه المساواة كاملة فى جميع البيانات التشريعية والنيابية عليها أن تبدأ من الآن بتقرير هذه المساواة فى المجالس النيابية والإقليمية وبالتعيين فى مجلس الشيوخ .

ثانياً — مطالبة الحكومات العربية بتعيين المرأة فى الوظائف التى يشغلها الرجل المتساوى معها فى الشهادات والمؤهلات .

الحقوق المدنية والشرعية :

المطالبة بتعديل قوانين الأحوال الشخصية تعديلا من شأنه أن يحقق الأغراض الآتية :

أولا — تقييد حق الطلاق بما لا يجعله أداة إضرار بالمرأة وبما لا يتنافى مع أصول الشرائع فى حالة الطلاق أو الفرقة .

ثانيا — جعل الحضانة للأم إلى وقت المراهقة فى الجنسين مادامت

أهلا للحضانة — وبعد حد المراهقة تكون الحضانة للأصلح من الوالدين حسبما يراه القضاء لمصلحة الطفل .

ثالثاً — الحد من سلطة الولى أياً كان بما يجعل هذه السلطة مماثلة لسلطة الوصى .

رابعا — تقييد تعدد الزوجات إلا بإذن من القضاء فى حالة العقم أو المرض غير القابل للشفاء .

خامساً — فى حالة الطلاق تعوض المرأة عما يصيبها من ضرر بسبب إساءة الرجل استعمال حقه فى الطلاق .

سادساً — رفع النسبة القابلة للحجز فى مرتب الزوج الموظف إلى الحد الذى يتسع للإنفاق على زوجه وأولاده .

سابعاً — تحديد السن الأدنى لزواج الفتاه فى جميع البلاد العربية بست عشرة سنة والدقة فى تنفيذه .

ثامناً — المساواة بين الرجل والمرأة فى أحكام قانون العقوبات .

تاسعاً — وضع تشريع يبطل مايصدر من عقود أو تصرفات من شأنها الإجحاف بحق المرأة فى الأرث زوجاً كانت أو بنتاً .

الثقافة والتعليم :

يطالب المؤتمر الحكومات العربية بالآتى : —

أولا — تعميم التعليم الإجبارى لمحو الأمية فى جميع الأقطار العربية .

ثانياً – الإكثار من المدارس الصناعية والزراعية وترقية برامجها توطئة لنشر الصناعة وترغيباً فى الأعمال الحرة .

ثالثاً – تعميم فرق الكشافة فى مدارس البنين والبنات فى مختلف الأقطار العربية .

رابعاً – العمل على توحيد الأسس الخاصة بتنظيم التعليم ومناهجه فى البلاد العربية لتيسير تداول البعثات العلمية ولزيادة الارتباط الثقافى المنشود بين البلاد العربية .

خامساً – العمل على أن يعهد الى السيدات بتعليم الناشئة بنين وبنات فى الطفولة ومرحلة التعليم الإبتدائى وأن يجمع بين الجنسين فى هذه السن وفى هاتين المرحلتين .

سادساً – العمل على طبع التعليم بطابع عربى يلتقى فيه ثمرات الحضارة العربية بما يتناسب معه من عناصر الحضارة الغربية لتظفر بلاد العروبة بخير مافى الحضارتين .

سابعاً – ترك ادارة تعليم البنات وشئونه للسيدات كلما وجد الى ذلك سبيلا .

ثامنا – جعل دراسة فن التمريض والإسعاف الأولى مادة أساسية فى منهاج الثانوى للبنات .

اقتراح – تقديم طلب بواسطة رئيسة المؤتمر الى المجمع اللغوى فى القاهرة والمجامع العلمية العربية بأن تحذف نون النسوة من اللغة العربية .

ملحوظة – هذا مجرد اقتراح من احدى الأعضاء لتسهيل التخاطب وليس بندا من قرارات المؤتمر .

حماية الصحة والأمومة والطفولة

الصحـــة

أولا – إنشاء وحدات طبيه متنقلة مجهزة بالأدوية تزور كل قرية مرة كل أسبوع .

ثانيا – انشاء الحمامات والمطاعم الشعبية فى المدن والقرى فى كافة أحياء الشعب .

ثالثا – اصلاح نظام السجون واشراف سيدات مختصات على سجون النساء والأحداث .

حماية الأمومة :

أولا – سن تشريع يلزم كلا من الزوجين بأن يخضع لكشف طبى رسمى يثبت براءته من كل مرض تناسلى أو وراثى قبل أن يرخص له بالزواج .

ثانيا – انشاء مراكز لوقاية الأم الحامل .

ثالثا – انشاء مدارس متنقلة لاتزيد مدة الدراسة فيها عن بضع أسابيع تتلقى فيها الأمهات التدريب الصحى فيما تتطلبه حالتهن الصحية أثناء الحمل وبعده . والإكثار من هذه المدارس .

رابعا – انشاء وتعميم مستشفيات للولادة وعيادات خاصة بالأمراض التناسلية فى القرى .

خامسا – سن قانون لحماية المرأة العاملة فى أثناء الحمل وبعد الوضع .

حماية الطفولة :

أولا – انشاء وتعميم مكاتب حكومية للنشر تهتم بترجمة أصول التغذية .

ثانيا – الاكثار من ملاجىء الأيتام وأبناء السبيل وإيجاد مصحات لأولى العاهات الجسدية فى الأطفال وتعميم معاهد ومصحات الأطفال .

ثالثا – اصلاح قانون وأنظمة المحاكم الخاصة بالمجرمين والمتشردين والأحداث .

ربعا – تعميم النوادى والمكاتب العمومية وحدائق الأطفال فى الأحياء الوطنية .

خامسا – تعديل قانون العمل الخاص بالأحداث تعديلا يكون أكثر رفقا بهم وتحديد سن العمل وساعاته بالنسبة للأطفال صبيانا وبنات فى جميع البلاد العربية .

سادسا – وضع التشريع الذى يحظر على الأطفال دون السادسة عشرة ارتياد دور الملاهى والحانات .

سابعا – يرى المؤتمر أن مسائل الطفولة من أهم المسائل التى يجب أن تعنى بها الأمم والشعوب العربية وأنها تستحق أن يتوفر عليها فى كل بلد عربى حزب اجتماعى قوى يسمى حزب الطفل يكون بعيداً عن أعاصير السياسة وعن المهاترات الحزبية الشائعة .

حماية الأخلاق

أولا – إلغاء البغاء المرخصة بسيرها فى جميع الأقطار العربية الغاء عاجلا .

ثانيا – عدم الترخيص للفتيات بالاشتغال فى الحانات .

ثالثا – إغلاق أندية الميسر والغاء المراهنات .

رابعا – يرى المؤتمر أن الحالة الخلقية التى نتجت من الحرب تدعو للاهتمام ويناشد حكومات البلاد العربية بأن تبذل من الجهود مايحول دون تفاقم الحالة وأن تعمل على انقاذ الفتيات من الوقوع فى أحضان الرذيلة سواء بإصدار التشريعات اللازمة أو بانشاء المؤسسات الإجتماعية التى تعمل على حماية أخلاقهن وتوفر سبل العيش الشريفة لهن ويرجو الهيئات النسائية فى البلاد العربية أن تعمل على تحقيق ذلك .

التعـــاون الاقتصـادى

أولا – تسهيل التبادل التجارى والمواصلات بين الأمم العربية .

ثانيا – المطالبة بتشجيع الأمم العربية على اقامة معارض مشتركة لمصنوعاتها المختلفة لترويجها فى جميع أسواقها .

ثالثا – المطالبة بأن يفتح فى وجه المرأة العربية كل عمل شريف تريد طرقه وتكون قد أعدت نفسها لمزاولته والمطالبة بمساواة أجرها بأجر الرجل فى كل الأعمال مادامت مؤهلاتهما وكفايتهما متساويين .

تم الطبع فى أبريل سنة ١٩٤٥

893.797 Ab32

APR 8 1948

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58836896
893.797 Ab32
Tatawwur al-nahdah a

893.797-Ab32